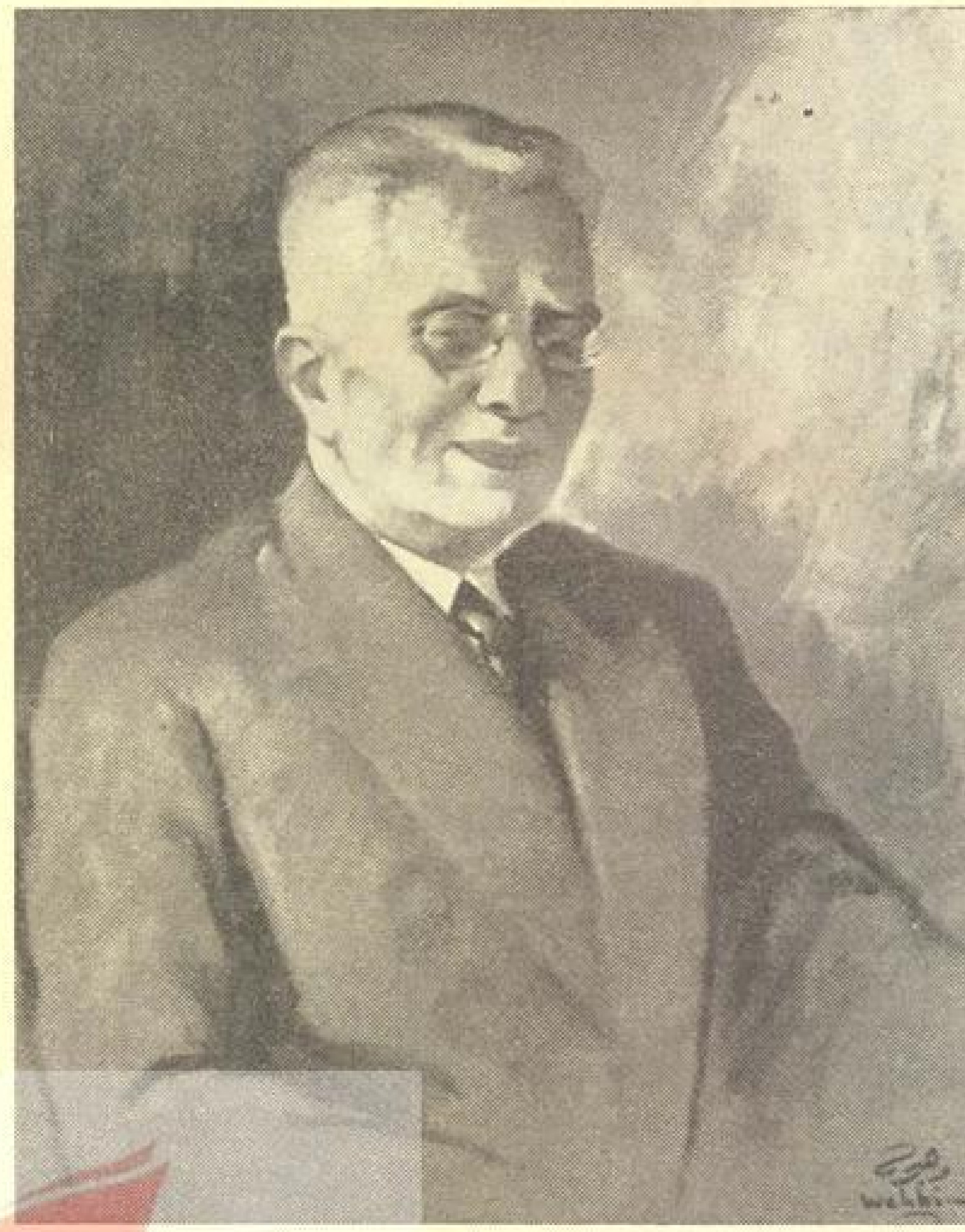


بشارة عبدالله الخوري

صاحب جريدة البرق ــ الاخطل الصغير
ابو عبدالله ــ امير الشعراء

بقلم الياس خليل زخريا

* * *

سافر امس صديقنا « ابو عبد الله » سفرته القريبة في الارض البعيدة .

تمدد في بزته الجديدة الانيقة ، وسبحته اليسر ، وناظريه الهادئين الباردين ، وعكازه المتوكيء القصير ، وتابوت مشرع الباب من الخشب السنديان المحفر الملمع ، وشمعتين نصرانيتين ، طويلتين من الجبل ، واقفتين وحدهما في مسرجتي النحاس ، عن اليمين والشمال ، تحت العلم تتمتمان على جدران القاعة الواسعة ، العارية ، في صمت المدينة الجامعية الصاخبة .

نظرت اليه مليا ، فكأنه هو نفسه .

مطل وحده من الزاوية في شرفة مكتبه الى رصيف « الشهداء » في ساحة العاصمة بين النخلات العاليات ، وبركة الماء العثمانية التي انصب فوقها تمثال بحري غريب لشهداء غير غرباء .

.. وينساب « الاخطل الصغير » بخياله على مسارب نظارتيه .

ويتنقل بجسده النحيل المفتول فتلا على عصاه المتعبة المتزنة .

ويقتنص هنا ، ويتربص هنا ، وينتظر انتظاره هناك ويكر الدقائق على حبات سبحته القصيرة .

ويبتسم ابتسامة شفافة دائمة كأنها الرضى الى كل شيء والاستخفاف بكل شيء .

ويلف ، ويدور ، ويرود ، ويتأمل ، ويرحب ، ويغض النظر .

يدخل في قنطرة من قناطر البرج ليخرج من قنطرة برجية اخرى .

يستقبل في عرض الطريق بالشم والتقبيل ،

... وقد يغرق في التودد ..

... وقد يتناهي في الجفاء .

ثم تراه يفيء عند كأس ، ودن ، في ضجة او خلوة ، او نشوة منتشية لا ابهة ، ولا ترف ، ولا مظاهر ثراء ، في حي كان زاخرا بالمظاهر ومدارج الرتب وابواب الفخفخة وبيوت الثراء وسارية العلم ونفخ البوق .

ويصحو صحوه عند الالتفات في غمزة ، او لمزة ، او رفة عين وينسحب من المجلس ، على السكت ، انسحابا خفيا .

وقد تراه يتوارى على الوقار في اكمام ثيابه تحت نظارتيه الدائمتين .

وقد تراه ينزوي على التبصر في مداخل نفسه وخفيف اجنحته .

وقد تراه ينفعل انفعال النار في دفع الريح .

وقد تراه ينطفيء انطفاء الموت في برودة التراب .

يعربد ويثور .. اذا ما غمزت قناته .

ينفر ويجافي .. اذا ما قوطعت كلمته .

يحقد وينقم .. اذا ما مست قافيته .

يحب النقد مديحا في شعره ومديحا في نثره

في كل شعره وفي كل نثره

فاذا ما تحرك القلم او اللسان في لفظة قلقة من الفاظه ، او الى بيت مضطرب من ابياته ، او على صورة غير مكتملة من صوره ، او قصة شاردة من اقاصيصه ، انتفض كما ينتفض الثأر ، فلم يترك للناقد نثرا قائما ولا شعرا منتظما ولا رأيا سليما ، وقد يجرحه في خلقه ، في ادبه ، وفي اهل بيته .

اني اذا جنت رياح سفينتي ذهب الجنون بحكمة الملاح

واشياء ، واشياء ، من حكايات العمر في رفقة طويلة غنية ، في ثلث قرن ، نتركها الى الغد لروايات الخبر ومجالس الحديث المنبسط .

ويعود « ابو عبد الله » من تطوافه النائي في الساحة الى غرفته ، الى بيته ، الى داره .

كانت غرفته تلك ، ايامذاك ، في غربي ساحة الشهداء ، او في جنوبها ، كل داره ، كل بيته .

فيها « البرق » والمطبعة ، والمحبرة ، والدفاتر القديمة ، والسجلات الجديدة ، والمكتبة ، والرسائل ، والديوان ، والمسند ، والمائدة ، وادراج الضيافة ، وسلة المهملات العتيقة ، وخزانة الثياب ، واخبار المحبين ، وأثاث كامل من اثاث الدنيا غير الكاملة .

كانت هذه الغرفة ، هذه الدار ، اعمق ما كانت . انها الصومعة اللبنانية العالية التي نزل فيها على نصف قرن في شق من كرسي واحد بقميص واحد ، على اللاهوت الشعري ، ثلاثة قدامى « ابن ابي ربيعة » و « ابن هاني » العباسي ، و « ابو الطيب » .

ورقة عفوية فطرية «كالصوت للطير وكالنشر للزهر» على حبكات مطيبة في سهولة التسلسل ، ولين الحوار ، وحرارة السرد ، وتنغم الكلمة ، وسكب القافية ، وابراز الصورة ، والاقتباس العيني والخطف الاذني ، وتأملات التتبع ، وجمال الارض ، ولذائذ هن من غير لذائذ « نعم وعمر » .

ثم دالية عجيبة تفتح في الجسد ، وفي النفس ، مغالق السر ، ومكامن اللذة ، ومصاعد الجموح .

ثم حكمةدهرية انصهرت فيها الاحداث ، والبطولات ، انصهار الماء في الغمام ، والغمام في السماء ، والسماء في الضمير المتيقظ المتعطش ابدا الى معطيات الجمال ، وقرابين الحق ومقدسات الحرية .

ثم طموح دنيوي عجيب الى فوق .

قد يغضب فلا يتمرد الا في الكبرياء ، والترفع ، والتعالي ، ونحت الصور ، واطلاق الخيال ، وبناء القصيد بناء الصعوبة الفخمة .

وقد يجنح احيانا الى مثل : « التأمر » ، او التولي ، او التحكم ، او القناعة الوديعة ، المنحدرة عند الضجر والحرمان الى القليل القليل من اوسمة هؤلاء الحاكمين ، الفقراء ، المحتاجين الى من يرفع قدرهم في عين الكلمة .

او قل معي في غبار تلك الصومعة التي سمعتها امس تقهقه قهقهتها في وجه قاعة الاستقبال الكبيرة ، الكبرى ، من قاعات كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية .

وفوق هذا ، وذاك ، قبة صافية من قباب الجبل ، رفعها « الاخطل الصغير » ، ورفاق « ابي عبد الله » وتلاميذ صاحب « البرق » — وقد كان معلما سخيا من معلمي الجيل — على هذه الدنيا العربية ، الواسعة ، تستظلها الارزة فلا تيبس ، وتنبسط فيها الصحراء الحالمة فلا يجف فيها الماء ، ويمتد تحتها الريف فلا ينقطع فراته ولا ينضب نيله ، ويتدفق بردى ، جارنا بردى ، فلا يبقى في واديه الخصيب الا هذا القلب اللبناني العربي الذي يخفق كالشعاع على قمة حرمون ، ويذوب كالندى على ضفاف الغوطة ، ويسيل كالامل على « العاصي » المتفجر من قلب الصومعة الهرملية من عندنا في الجبل الاخضر .

ويسألون الوادي الدمشقي عن قديم هوى « هذا الفتى العربي في الزي الغريب » فلا يجدون غير خفقات قلبه مع المجد ، والسرى ، والسراب ، والامل الاكبر ، الى الرمل ، والنخيل وجبال الشمس في واحات الزمن .

ويوم نادينا ، شاعرنا ، بهذه الاسماء الثلاثة : « ابو عبد الله — الاخطل الصغير — امير الشعراء » كنا نشعر بأن هناك اسما رابعا فوقها تنتهي فيه هذه الروافد اللفظية .

تتساقط عن مجده ويبقى ، تنتثر عن دوحه ويدوم .

الم يعشق « بشارة عبد الله الخوري » نفسه كما يعشق البلبل حنجرته ؟!

الم تكن هذه الاسماء تمدحا به ، نعوتا عابرة في معدنه .

الم يلقب نفسه باسم شاعر بني امية فخورا بمفاخره مطمئنا الى نصرانيته ، ومكانته ، ومجالسه ، وأفيائه في مشارف الافياء ، حتى اذا سرى اسمه ، وتناقل على الواح القلوب ، تضايق فخلعه ، وتألم فأنكره ، وتمنى علينا مرارا في محبتنا له ان نهمل التسمية :

« ذلك عبث من ايام الصبا في طفولة الشاعرية » .

الم يناج ابا الطيب :

طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة   فشاء ربك ان لا تدرك الطلب

ويسعى اليه منظمو مهرجان الامارة ، شعراء الكهولة الراغبين في الارث غير الموروث ، فيرحب باللقب ، ويهلل بالتتويج ، ويحني رأسه العالي لاكليل المهرجان وصولجانه والتقيه بعد « التأمر » واذكره ولا اهنئه ، فيعتب بجفاء ويودع بقساوة ، وكم وددت حقا لو تحركت فيه علي شاعريته الغضبى فهجا كما كان يهجو ، وحطم كما كان يحطم ، غير انه انطوى عنا في لين الغربة على عتابه الاخير ، وموته الاخير . .

وادركت ان اقصى ما كان يطمح اليه « بشارة عبد الله الخوري » في اوائل حياته واواخر هذه الحياة الدنيا لقب « امير الشعراء » وان كان في قرارة ذاته واثقا بأنه ليس للشعر امارة وليس للامارة (ولي عهد) وليس لولاية العهد (اكليل او صولجان) .

ويا صديقي . . يا امير الشعراء .

لا اوتارك انقطعت عن عودك .

ولا شموسك توارت عن مشارفك .

ولا اقمارك غابت عن ضلوع جبلك .

اراك في نفسي كأنك الجبل .

غرد يا ابا عبد الله ففي كل واد حداء من قلبك .

سلم قلبك من الموت .

الياس خليل زخريا

الحياة بين السعادة والشقاء

بقلم الفقيد مصطفى درويش الدباغ

***

لكل اديب مكين فلسفة خاصة ازاء الحياة ، تأخذ عليه منافذ فكره ومسارب حسه ، لا يتخلى عنها ، فهو دائما شغل بها لا يفتأ ينفثها شعلة حارة ينبض بها حسه ، ويتوهج بها فكره ، ما دامت انفاس الحياة تتردد اصداؤها مشتعلة في جسده وروحه . وستبقى هذه الافكار حية، يتوارثها الخلف عن السلف منبثة في ضمير الانسانية ، لا يتناولها عادي الفناء ، وان غدت تتبرج في اثواب فضفاضة اخرى ، على اقلام الكثيرين من الكتاب والفلاسفة ، ولو قدر لهذا الكون من الاسباب ما يمنع حياة الانسان من الانطلاق لما شعرنا بمعنى الحرية ، لان معناها لا يتجسد شعلة مضيئة الا اذا كانت ثمة اسباب تمنع مجاريها من الاندفاق في السبيل الذي ارادته لها الحياة بعد صقلها واندفاقها ، في المجاري المشروعة التي توحيها معاني السماء .

واذا استعرضنا تاريخ الانسانية منذ اقدم عصورها حتى الان نجده صراعا بين الحريات ، ومهما كتب الفلاسفة ونظم الشعراء ، فان حرية الفكر تبقى في عراك مع الافكار التي تصادمها ، لان جوهر الحياة مركوز على الصدام ولذتها تنبعث من حيوية هذا العراك ، ولا يمكن ان تخلد الانسانية الى العالم الروحي الذي يتألق في احلام اهل الفلسفة والفن ، وما يتدفق في مشاعرهم وافكارهم فاذا اخلدت الى مثل هذه الاحلام واقامت في النهاية حياتها على نسيج احلامهم ، فانها لا تلبث ان تركد كالمستنقع الآسن ولكنها لا تني حتى تتمرد على حياتها ، وتنشد حياة اخرى تستمدها من حيوية ما يضطرم في اعماقها .. وفي اعتقادي ان الانسانية لو وثبت الى هذا الطور الذي خفق في احلام افلاطون ، والفارابي ، وتوماس مور ، لأحست بالسأم والملل والركود ، ولكنها ستبقى وهي في هذا الطور تتذوق جمال المعاني التي رسمت في كتاباتهم وستبقى قافلة الفكر تعرض منتوجاتها الفكرية ، ازياء اثر ازياء ، متنوعة الاساليب ، استجابة لروح التمرد ولفطرة الحياة الانسانية .

واذا احس بعضهم بالمرارة ، لعدم قدرة الافكار ، والمثل العليا ان تخضع الحياة الانسانية للمدلولات والمعاني الروحية فليس مرد ذلك الى ضعف الافكار وعدم جدواها، وانما مردها الى تمرد الانسان وعدم تشربه معانيها السامية ، وطبيعة الحياة هو الهدم والبناء ، والشعور بتذوق معنى المأساة الانسانية يتطلب من ناحية ثانية الشعور بتذوق معنى السعادة الانسانية ، ولا يدرك الانسان حقيقة هذين المعنيين ، الا اذا تذوقهما معا ، وهكذا الحياة سعادة وشقاء :

ومحال ان يسعد السعداء الدهر ، الا بشقوة الاشقياء .

وقف المتنبي في خضم الحياة يصارع اهواءها واعاصيرها ، تدفعه الى ذلك عزيمة ماضية وجراة جنان ومضاء فكر ، وقد هدته تجاريبه وما وقع في وطابه من احداث منذ ان شب عن الطوق الى ان قتل في معركة كانت الغلبة فيها لاعدائه عليه ، اقول لقد هدت المتنبي تجاريبه ، على ان الحياة صراع واحتكاك ، صراع خفي وظاهر ، لا يتفوق فيها الا الاقوياء .. اقوياء العزيمة والفكر ، والجلد والصبر ، واذا هادن الناس بعضهم بعضا ، فانما يتهادنون على البغضاء ، حتى اذا لاحت لهم بارقة ضعف من احدهم ، شنوا عليه حربا لا هوادة فيها ولا لين ، بدون رحمة ولا شفقة ، كجماعة الذئاب اذا لمحت ضعفا واستسلاما في احدها هجمت عليه ، وجعلت لحمه جزرا لانيابها .. يقول :

ومن عرف الايام معرفتي بها   وبالناس ، روى رمحه ، وهو قائم
فليس بمرحوم .. اذا ظفروا به   ولا بالردى الجاري عليهم بآثم

ويقول في موضع آخر :

انما انفس الانيس ، سباع   يتفارسن جهرة واغتيالا
من اطاق التماس شيء غلابا   واغتصابا .. لم يلتمسه سؤالا

الى غير ذلك من الحكم الفنية التي امتلأ بها ديوانه، وكلها مصفاة من منجم الحياة الحقيقي ، وكذلك وقف ابو العلاء المعري امام الحياة يواجهها بفكره وقلبه ونفسه ، فهو مفكر وشاعر وفيلسوف ، خبر الدنيا وتأمل الحياة الانسانية الباطنية ، فوجدها مما لا يستطاع اصلاحه ، لان طبيعة الشر كامنة فيها .. يقول :

لبيب القوم ، تألفه الرزايا   ويأمر بالرشاد ، فلا يطاع
فلا تأمل .. من الدنيا صلاحا   فذاك هو الذي لا يستطاع

واذا وقف العقل المفكر يزجر الناس ويردعهم عن مقارفة الاثم والغي والغدر ، فان طبيعة الغي الراسخة في النفوس تطغى على قوة العقل ، فيستجيب الناس الى صوت الغي غير مبالين بنصيحة الدين ولا بنصيحة العقل يقول :

فاوسع بني حواء هجرا فانهم   يسيرون في نهج من الغدر لاحب
اذا ما اشار العقل، بالرشد، جرهم   الى الغي ، طبع اخذه، غير ساحب

والناس تضمر غير ما تظهر ، واذا بان عليهم اظهار مقت الحياة ، ولكنهم في الحقيقة يضمرون عشقها ، وان اظهروا الزهد فيها ، يقول :

شقينا بدنيانا .. على طول ودها   فدونك مارسها حياتك واشقها
ولا تظهرن الزهد فيها .. فكلنا   شهيد .. بان القلب يضمر عشقها!

وستبقى معاني الانسانية الروحية في صراع ابدي مع القوى المضادة ، وستبقى الثنائية متغلغلة في حياة الانسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، ما دامت عجلة الحياة في سيرورة مستديمة .

عمان — الاردن   **مصطفى درويش الدباغ**

الى ابني

★

على انقاض مجدي سوف تبني
فطاول قبة الجوزاء يا ابني !

عقدت عليك آمالي ، واني
لأرويها اذا ظمأت بعيني

ليحي ابوك في حرج وخوف
وترتع انت في فرج وأمن

اذا طافت بخاطرك الاماني
شعرت كأنها طافت بذهني

وان بشت لك الدنيا ترامت
بشاشتها الى اعماق حزني

سهرت لكي تنام على حرير
اذا اغفيت انت ارتاح جفني

وجعت لكي تشب ، ولا ابالي
اذا استقويت من ضعفي ووهني

تموت ارومتي شيئا فشيئا
لتمتص الحياة عروق غصني

وتخبو نجمتي لتطل شمسا
مشعشعة على سهل وحزن

ويذوي مرتعي زهرا ونهرا
ليضحك وجه مرتعك الاغن

واهبط سلم الدنيا لترقى
والتزم السكوت لكي تغني

بني لانت في الضراء سيفي
وانت على عواديها مجني

نشأت على المكارم ، لم تخيب
رجاي ، ولم تحد في الدرب عني

صغيرا لم تزل ، لكن تعالى
ذكاء القلب عن قد وسن

اكاد ارى على عينيك طيفي
واسمع في هديلك رجع لحني

اعدت الى طفولته فؤادي
فدعه في ملاعبه ودعني

غدا تطوي بشاشته الليالي
وتمشي النار في جنات عدني

★ ★ ★

بروحي افتديك ولا اغالي
وما انا من يمن ومن يمني

لأنت احب من نفسي لنفسي
واكرم موضعا في القلب مني

نصحتك لا تكن للمال عبدا
فحسن الذكر عن «قارون» يغني

ولا تفتح لغير الحب قلبا
تعالى الحر عن حسد وضغن

سألت الله ان تحيا سعيدا
اذا حققت او خيبت ظني

ارق قصائدي معنى ومبنى
واحلاها بيانا انت يا ابني !

بوانس ايرس — الارجنتين

زكي قنصل

نظرة في « معاهد التنصيص »

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

يقابل بعض القراء هذا الكتاب بقليل من الترحيب قبل ان يموأ به لان اسمه من جهة وعصر مؤلفه من جهة اخرى لا يوحيان بكثير من البشاشة والاقبال ، فاسم الكتاب « معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » يلقي ظلا قاتما يثيره ما عرف عن متن التلخيص من تقعيد وتعقيد ، وظهور المؤلف في القرن العاشر الهجري ـ وهو زمن تدهور فيه الفن الادبي تدهورا لا يؤذن بالاجادة الرائعة والتفوق الناضج ـ مما يشي بضآلة نفعه ، وقلة جدواه . والحق ان الكتاب عظيم النفع كثير المحاسن ، وسأحاول ان اشير الى مزاياه من قريب . ونحن نسأل اولا عن رسالة هذا الكتاب ؟ فاذا اتضحت على وجهها الصحيح برزت مزيته بجلاء ، وحسبنا ان نعلم انه كان خطوة أولى في طريق النهوض بعلوم البلاغة ، والخروج بها من دائرتها الضيقة الى أفق التذوق والاستمتاع ، وهي خطوة موفقة سارة ، اذا نظر اليها كعمل مبدئي تضافرت بعده الجهود المتتابعة حتى كتب للبلاغة بعد اجيال ان تنهج نهجها القويم ! اما كيف برزت هذه الخطوة المبدئية فذلك ما اخصه بالحديث !

لقد كان عمل السكاكي في محيط البلاغة بالقرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع حدا فاصلا بين ازدهار البلاغة وارتكاسها ، اذ انه نظر اليها بعين المنطق والفلسفة ، واكثر من التعريفات والتفريعات اكثارا سيطرت عليه المصطلحات والحدود ، وضاعت بجواره فائدة النصوص الادبية فلم تعد البلاغة فنا جماليا يتجه الى الاسلوب الجيد والمعنى الرائع ، ولكنها اصبحت رسوما وقواعد تحوطها التعليلات الذهنية، والاعتراضات المنطقية، وجاء الخطيب القزويني فلخص هذه التعريفات والرسوم تلخيصا جافا أحال البلاغة الى الغاز ذهنية ورسوم منطقية ، وأسمى عمله هذا «متن التلخيص» ومن المؤسف حقا انهذا المتن قد لقي الحظوة والاقبال لدى من عرفوا بين الناس بعلماء البلاغة فيما بعد القرن السادس فكتبت له الشروح ووضعت عنه الحواشي والتقادير واصبح مركز الدائرة في كل ما يقال عن بلاغة الاسلوب وفصاحة التركيب وقوة التشبيه وجودة الاستعارة ،ونقد المحسنات والموازنة بين السرقات ، واشتهرت شروح التلخيص اشتهارا جعلها صاحبة الكلمة الاولى في المضمار البلاغي، وأصبح عالم البلاغة بمنأى عن النصوص الشعرية والآثار الادبية ، ولكنه يجيد تعريف الفصاحة كما رسمه السكاكي مع ما قيل في الاعتراض عليه ،ويفتن في ارجاع الضمائر، واخراج المحترزات ، فاذا سألته ان يحكم على نص ادبي على مثال ما كان يصنع عبد القاهر والجرجاني والامدي ضاق مجال القول امامه ، وعجز حتى عن فهم ما فاض به مؤلفو دلائل الاعجاز والوساطة والموازنة بل عد ذلك بمناى نازح عن علم البلاغة الاصيل ، وقد ذكر الاستاذ عبد العزيز البشري انه يعرف زميلا يحفظ جميع شروح التلخيص ثم يعجز عن كتابة رسالة أخوية لا تتجاوز ثلاثة أسطر ! ولئن كانت هذه نتيجة دراسة التلخيص وشروحه فيا لهول المأساة !

ادرك مؤلف معاهد التنصيص ما تورط فيه البلاغيون من بعد عن النص الادبي والمام بحيوات قائليه من الشعراء والكتاب ، فألف كتابه ليذكر كل نص من شواهد التلخيص فيشرح معناه ويذكر مناسبته وجزءا كبيرا مما قبله وبعده عن الآيات الشعرية ، ثم يتجه الى سرد كثير من الابيات التي تشير من قريب او بعيد الى معنى النص ليتسع مجال الموازنة على مر العصور بين السابق واللاحق ! واذا عرفنا ان المؤلف قد عاش في القرن العاشر الهجري فالم بأكثر دواوين الشعر العربي من لون العصر الجاهلي الى زمنه ثم استخرج منها ما يشابه بيت الشاهد او يناقضه ، وسرد ذلك كله بمناسبته ، اذا عرفنا ذلك ادركنا قيمة هذه الذخيرة الثمنية التي قدمها المؤلف في كتابه ، وقد يكون غيره من التقدميين قد سبقه الى ذلك في القرن الرابع او الخامس او السادس مثلا ، فانتفع بآثارهم المدونة ، ولكن تأخره الزمني اتاح له ان يتابع الشعراء المحدثين فيجمع ما قالوه من الشوارد ، ويقدم سجلا حافلا متناقضا حيث يجمع شعر الطبع والصنعة ويقرن الغث بالسمين متيحا لصاحب الملكة الادبية ان يستمتع بالجيد الرائع وان يحكم على الغث المرذول !

هذا العمل وحده في تتبع معنى النص على مر العصور يحيي حاسة التذوق الادبي ، ويدعو الى الارتقاء البلاغي صياغة وتفكيرا فاذا اضاف الى ذلك كله ترجمة حافلة لصاحب النص تبين خطوات حياته وترسم بيئته ومؤثرات انتاجه وتلم بزبدة ما قيل عنه فقد خدم الملكة الادبية خدمة راقية ، واعان على التذوق البلاغي اعانة مسعدة مسعفة ، وما ظنك بمائتين وخمسة وعشرين من الابيات هي كل شواهد التلخيص يكتب المؤلف حولها ألفا وثلاثمائة وخمسين من الصفحات يخرجها الاستاذ محي الدين عبد الحميد في اربعة اجزاء كبار هي ما يعرف بمعاهد التنصيص ! أي ان النص الواحد قد استغرق اكثر من ست صفحات ! وليس ذلك مطردا بطبيعة الحال . ولكنه احصاء تقريبي يوقف على مدى

جهد المؤلف الكبير !!

اما نصيب البلاغة الرسمية من هذه الموسوعة فلا يتجاوز بضعة أسطر تلحق بكل نص وقد تصل في كثير من الاحيان الى سطر او سطرين !! الا يدرك القارىء معي مبلغ ضيق المؤلف بمماحكات البلاغيين ونزوعه الى السمو بهذا الفن الى افقه الاوسع باذلا جهده الاكبر في خدمة النص والتعريف بظروف قائله اذ هما لباب اللباب !! وان مؤلفا يخطو هذه الخطوة في القرن العاشر الهجري حول متن التلخيص مع جبروته العلمي اذ ذاك لصاحب رسالة في مضمار البلاغة الادبية دون نزاع ، وقد اشار الرجل في مقدمة كتابه الى عمل مشابه لم يكمل بل لم يخرج عن حيز المسودات قام به الجلال السيوطي ، وليس لدينا الان مجهود الجلال حتى نحكم عليه ، ولكننا نعرف نزعته العلمية الفقهية من خلال كتبه الكثيرة ، وبعيد جدا على عالم فقيه مفسر لغوي متكلم محدث مؤرخ ان يبرع في الادب الخالص براعة صاحب المعاهد ، او يوفق توفيقه الفني في دراسة الدواوين الشعرية ، والتنقيب عن حيوات الشعراء بالذات ! لذلك نعد كتاب المعاهد خطوة بلاغية جديدة كتب لها الذيوع والبقاء .

وقد ذكر الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ان « كتاب معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » كان من سمار الاستاذ الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية الاسبق وانه كان كثير القراءة فيه والمعاودة له، وكان رحمه الله اذا اراد ان يختبر طالبا ممن يتقدمون اليه لبث شكاية او رجاء شفاعة قدم اليه هذا الكتاب وطلب ان يسمعه قطعة منه ثم امره ان يبين ما يقرأ ، فان أجاد القراءة والفهم والابانة توسم فيه الخير وقضى حاجاته ، وهذا غير مستغرب من الاستاذ الامام فقد نشأ في عهد سيطرت فيه حواشي التلخيص على دروس البلاغة بالازهر وأراد الشيخ ان يسلك بالطلاب واديا آخر فأخذ يقرأ عليهم كتابي عبد القاهر ، ولعله حين اطلع على معاهد التنصيص وجده خطوة للتخلص من هذه المناقشات الذهنية الجامدة فأخذ يعرضه بطريقته الخاصة على الطلاب ليذيع أمره ويرقى به الازهريون الى مستوى البلاغة الفنية بعد ان هبطت بها الشروح والحواشي الضافيات .

اما مؤلف الكتاب الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي المتوفي سنة ٩٦٣ هـ فلم اجد ما يعرفني به أكثر من كتابه ، وأثر المرء دليل عليه ، اذ ان ما كتبه عنه معاصرو عهده من امثال الشهاب الخفاجي قد غرق به في بحر من السجعات الذائعة فهو « حسيب طرزكم المجد واعاد برقة شمائله نسمات نجد ، وله رايات فضل عليه ، نعمت الاقلام بسواد انفاسها العباسية » الى امثال ذلك مما يمكن ان يقال لكل اديب ، وقدعرف عنه انه من ابناء بني العباس الذين تفرعوا بمصر من شجرة الخلافة العباسية التي أحياها سلاطين المماليك على يد الظاهر بيبرس ، حتى اذا انتهى مجدهم الروحي بدخول مصر تحت حكم الاتراك بقي احفادهم في وادي النيل وقد اندمجوا في الشعب المصري واصبحوا بعض افراده ، ومن بينهم عبد الرحيم مؤلف الكتاب ، اذ سلك سبيل انداده في تحصيل الادب والعلم فقرأ علوم عصره ، وروي عنه شرح كبير للبخاري ، وحين ألف معاهد التنصيص رحل الى بلاد الروم قاصدا القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية واتصل بكبرائها وائمة العلم من رجالها فأتيح له من يقدر كتابه ويذيع في الآفاق حديثه ويثيبه عليه ، والحق ان الشعور العام في مصر والشام كان منحرفا عن الدولة العثمانية حين احتل سليم الاول مصر عدوانا وبغيا فاشعل حربا طاحنة بين ممالك الاسلام خسرت بها مصر مجدها السياسي ونفوذها الحربي وتقدمها العلمي والحضاري ، ولكن زوال سليم وتولية سليمان القانوني من بعده قد استطاعا ان يخمدا روح العداء في النفوس فانطفأ ما كان يشتعل بها من غيظ نحو ابيه، اذ استطاع ان يقود الجيوش الاسلامية من نصر الى نصر في أوربا ، وقهر ملوك المجر والنمسا والمانيا وفرنسا والروسيا ، وثار له دوي رنان في بلاد الاسلام وتحدث انه حامي الشريعة ورجل الملة وخاقان المسلمين! واصبح من عادة العلماء والادباء ان ينتجعوا حاضرة الخلافة العثمانية ، رغم أنها لا تقاس في مجدها العلمي بالقاهرة وكان عبد الرحيم احد هؤلاء ، ولا ريب انه كان يكتم في نفسه حسرة كاوية حين توجه الى من استلبوا جلال الخلافة من آبائه واجداده . . على انه كان في شظف من العيش كما يلوح من بعض قوله ، ومما يوجهه الى زملائه الادباء فهو يقول مثلا :

ارى الدهر يكرم جهاله — واعظم قدرا به الجاهل
وانظر حظي به ناقصا — ايحسبني انني فاضل

ويقول عنه صديقه الشهاب بن محمود النابلسي « حين قعدت به الاحوال وقامت الاهوال » كما عبر عن نفسه :

عبد الرحيم اضاعوا — بدولة ضيعته
ما فيه لو ولا — ليت ! انما ادركته !

فالرجل كان مساقا الى انتجاع القسطنطينية لظروف عيشه وقد وفقه الله فقضى حاجة في نفس يعقوب !

ومن يقرأ شعره يلمس به ارتفاعا عن مستوى عصره فالرجل لا يتكلف الشعر في المناسبات العامة ولا يحشوه حشوا ببهارج المحسنات وزخارف البديعيات ، بل يعبر عن ذات صدره ، وما أثر من مقطوعاته ينطق بتجاربه الذاتية ، ويدل على اهتمامه بالمعنى على عكس اقرانه من شعراء العصر ومحترفي النظم والتشطير والتخميس ! ولي ان ازيد على ذلك فأزعم ان وحي الخبرة العاقلة يلوح في خطراته فيأتي بما يوقفك على الحقيقة المرة حين

يتحدث عن ضعف الشيخوخة فيقول :

قد كنت امشي ولست اعيا — فصرت اعيا ولست امشي

وتارة يكشف لك عن الحقيقة في قضايا الود والصداقة فيقول قوله الحكيم عن تجربة :

لست عن ود صديقي سائلا — غير قلبي فهو يدري وده
فكما اعلم ما عندي له — فكذا اعلم ما لي عنده

وهما بيتان نفيسان من ناحية ومدلولهما العاطفي صحيح الى حد بعيد ولكن صياغتهما اقرب الى المنطق منه الى الشعر ، وقد يلجئك الى الابتسام حين يتهكم ببعض الناس فيقول في سخرية :

رايت لئيم قوم في مصر — وبين يديه اشخاص لئام
فسلم من جهالته ابتداء — فقلت له متى كسد السلام ؟

ووجود هذا الطراز من الشعر في القرن العاشر الهجري معجب رائق ، على ان الشاعر بحكم بيئته وثقافته مهما سما بروحه عن الاسفاف اللفظي والعبث الزخرفي لا بد ان يجذبه محيطه الى مداره ، فينجذب احيانا الى ما تورط فيه سواه مما شاع وعم من اصباغ البديع، وهو اذا تورط في ذلك لا يهوى مهوى الفاضب البليد ، ولكنه يحافظ الى حد ما على مكانته الفنية صياغة ومعنى . فهو مثلا يسرد بيتا للبحتري في الاستخدام البديعي ج٢ ص ٢٦٩ :

فسقى الغضا والساكنيه وان همو — شبوه بين جوانح وقلوب

ثم يذكر لنفسه من هذا الوادي ص ٢٧٠ :

تمر الصبا عفوا على ساكني الغضا — وفي اضلعي نيران تتسعر
فتذكرني عهد العقيق وادمعي — تساقطه والشيء بالشيء يذكر
ويورث عيني السفح حتى ترى به — معالم بالاحباب تزهو وتزهر

فهذه الابيات الثلاثة تضمنت ثلاثة امثلة للاستخدام في كلمات الغضا والعقيق والسفح ، ومع سبق الشاعر بما الم به وتورطه في مجاراة عصره فقد بدا في نظمه تماسك قوي لا يفقده الرونق والبهاء ، وقد يضعف قليلا عن هذا المستوى في بعض ما استشهد به لنفسه في صفحات الكتاب ؟ ولكن من الذي يحلق دائما من فحول الشعراء حتى نحاسب اديبا مثله عن بعض الهنات !

وشخصية العباس تظهر واضحة في مؤلفه فهو لا ينقل نقلا دون تمحيص ولكن يقف من المنقول وقفات ناقدة قد تقصر وقد تطول ، ونقد الروايات الادبية يحتاج الى خبرة ذهنية ونفسية ، ويكشف عن عقلية صاحبه ومنازعه ، لا سيما اذا اتجه النقد الى اخبار متواترة ترويها الكتب على مر العصور كاتبا بعد كاتب ، فالرجل يرفض مثلا ما تعورف عن ابيات ابي تمام :

اقدام عمرو في سماحة حاتم — في حلم احنف في ذكاء اياس
لا تنكروا ضربي له من دونه — مثلا شرودا في الندى والباس

ويروي ان القصيدة قيلت في احمد بن المعتصم لا في امير المؤمنين حتى تنسب اليه الاقاويل ، كما ينفي ما حكاه الرواة من ان العباس بن الاحنف مات مع الكسائي في يوم واحد ، وقد صلى عليهما الخليفة مبتدئا بالعباس دون الكسائي ، ويستند في نفيه الى ارقام التاريخ اذ ان الكسائي قد توفي قبل العباس ببضعة سنوات ، وقد ظهرت براعته النقدية في نسبة الشواهد الى اصحابها ، فهو ينقل آراء كثيرة للعلماء ثم ينقضها او ينفيها بالدليل ، وقد يرجع الى ديوان الشاعر فلا يجد الشاهد فينص على ذلك في اكثر من موضع مما يوجبه التحري الدقيق ، على انه رغم شفافيته الادبية ، واستكمال حاسته النقدية لم يستطع الخلوص مما درسه من اقوال السابقين ، فوقع في بعض ما وقعوا فيه من اخطاء فهو مثلا يروي قول ابي تمام :

اعوام وصل كاد ينسى طيبها — ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اردفت — نجوى اسى فكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها — فكانها وكانهم احلام

ثم يقول عقب روايتها « ولابن الفارض رحمه الله في هذا المعنى مع الاختصار المعجز :

اعوام اقباله كاليوم في قصر — ويوم اعراضه في الطول كالحج

وهذا تعقيب من يفضل بيت ابن الفارض على ابيات ابي تمام لعلة واحدة وهي الاختصار ! وذلك ترديد لما تعورف لدى بعض الناقدين من ان البلاغة هي الايجاز في كل موقف كان ! معان الايجاز بليغ حقا عند مقتضاه ، اما ابو تمام فيستعرض ذكريات يروق له ان يفصلها ويطيل الحديث عنها ليردد كل لفظ منها صدى يجول في اطوائه، وليوحي انبساط القول من الظلال ما يرسم شعوره المختلف في الوصل والهجر ولن يؤثر في نفس قارئه حين يرمي بالعبارة الموجزة فلا تحمل اصداء نفسه المتماوجة فاخذ يستعرض تقلبات ماضيه استعراض من عانى التجربة وتلذذ بنعيمها ثم انقبض لبأسائها ، فأتى هذا الاسهاب الجيد على ما في نفسه من الشجون ، ولن يستطيع قول ابن الفارض على ايجازه ان يبلغ مبلغ ابي تمام !! وفي رأيي ان نقد ابن الاثير لمثل قول ابي نواس :

اقمنا بها يوما ويوما وثالثا — ويوما له بعد الترحل خامس

ورميه بالتطويل الممل ، والحاح من قبله ومن بعده على تفضيل الايجاز دون التفات الى ظلال الالفاظ وايحاء الصور .. كل ذلك قد جار على الصواب وقاد صاحب معاهد التنصيص وكثير من نظرائه الى ما تأباه .

ويلحظ من يطالع هذا الكتاب كثرة اشعار المجون به بدون داع ملح فليس في اكثر ما ذكره من روائع المعاني وجميل الصور ، وحلاوة الفكاهة ما يشفع في تدوينه ، بل يرتطم الناظر بألفاظ نابية صيغت في ابيات منظومة ، ويدعي قوم انها من الفن الادبي مهما انحدر اتجاهه ، ولسنا ممن نرى هذا الرأي ، لان ذكر الالفاظ المستهجنة في ابيات عارية فاضحة لا تعد فنا ما دام قد خلا من الصورة الموحية والمعنى البارع ، واللفتة الساخرة المتندرة! واكثر ما جرى هذا المجرى في معاهد التنصيص كلام اذا نثرت ابياته كان حديث الساقطات والساقطين في ملاهي

الاخطل الصغير

جورج غريب

***

هو يا بلاد الارز نسر تاه من بين النسور
سحب الجناح على الذرى ومضى يجوب مدى الاثير
قصفت جناحيه الرياح ففي العلى هزج المغير
وتخطفت ريش الجناح عواصف الزمن الغرير
فهوى من العلياء مخضوب الجبين بلا مجير
جمعت بقاياه المنى ورمت بها شم الوعور
فالنسر يهوي يا سماء تلفتي ! .. يا أرض ثوري
ثقلت سلاسل في اليدين ومنهما غزل الحرير
من كان يحمل عمره من قبل أعمار الدهور
لن يهجر الآفاق والوطن الحبيب بلا سمير
ستظل اغنية الهوى قسما باقداس المصير

هو في الشموع حبورها ، وظلامها بعد الحبور
هو ما أسال الشعر الا كان لحنا في الثغور
لم يبق منه سوى يراع رازح تحت الصرير
قلبي .. فيا دنيا اهزأي بهوى ويا أوجاع غوري
وتضاحكي يا أنجم الزهراء في الفلك المنير
هو من شدا في عرسه ، من هز اعماق الضمير
شهدت عليه الارض لم يسكب لها غير العطور

من علم الطير المغرد ان يغني في البكور
صدق القوافي ان يجردك الغرام من السفور
وأخو البراقع غارق في الخز ، يشمخ بالغرور
نعق الغراب وبلبل الادواح في صمت مرير

التهتك والفسوق ! ولا كذلك الفن الادبي بحال ، وقد يكون الثعالبي في يتيمة الدهر رائده السباق اذ اربى على من قبله من رواة الادب في تسجيل هذه المنتديات ! والغريب ان عبد الرحيم العباس يستشعر بعد الاكثار الممل من هذه الفضائح بعض الخجل فيستغفر الله ، ويشهد القارىء انه راوية فقط ، ولو شاء ماارتكب ذنبا يوجب الاستغفار ، وفي كلامه عمن سماهم بالملاحدة كابن الراوندي واشباهه بعض ما كان الاولى طيه . او اتباعه بالنقد مع سهولته وقربه ، ولكن الرجل يذكر الآراء الكافرة دون تعقيب نقدي، وكل ما يختم به الحديث لا يخرج عن مثل قوله (حـ١ ص١٥٧) « ولو ذهبت اورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر ، والاشتغال بغيره اولى وانا اعوذ بالله من هذا القول ، واستغفره مما جرى به قلمي مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله وكتابه الحكيم » . ولعل ما يشفع له ان احال الى مرجع لابن الجوزي في نقض امثال هذه السقطات . لقد جاء كتاب المعاهد سجلا حافلا ،ومرشدا هاديا ، وثمرا مستطابا وقد رأيت ان اسجل خواطري عنه ليجد من الاقبال لدى الجمهور ما وجده من اهتمام الخاصة من مقدري الكتب وعارفي الرجال .

الفيوم ـ دار المعلمات — **محمد رجب البيومي**

ما صاغ قافية ولم تصدح على النغم الاخير
فالام يصدمه الهوى بالجور في حمى الهجير
سكب النجيع على يديه وفي المدى شبح الحفير

لبنان يا وطن الكواكب اين اضواء الجدير
مثل الغدير حملته وخنقت عندلة الغدير
يا غربة ملأت نجي جوارحي في الافق طيري
اني فرشت لك السماء كواكبا وسنا بدور

أوتذكر الايام شاعرها على امد الدهور
والعبقرية والصبا ، يوم الجمال بلا نظير
يوم الدنى قبل وقد غرقت أنامل في الحرير
في الناحل المغناج يسحب موجعا ، في الشعر الضفير
في شقرة من عسجد ، في سمرة او في نحور
يوم البهاء تدافع في الشط ، في عليا القصور

يا شاعرا مل الطريق فلا يغني في المسير
حبس العطور بزهره ومشى الى الابد الوثير
نثر الجراح مباسما وعشا الى الحلم القرير
عين على الرؤيا وعين للجمال على السرير
بالامس عصب أخطل في مهرجان للعبير
يوم المبايعة انتشت وجدا على الوطن الصغير
رؤيا من الحب القديم حدت بها أسراب حور
هذي تقبل جيده ، وتشن تلك من الحرور
فتغيب كف في الندى وتغيب كف في الخصور
والشعر في الابعاد يهتف باسم شاعره الكبير
وتلفتت سمر الطيور الى عمالقة الطيور
لبنان عانق أخطلا ورنا الامير الى الامير

يا أيها الحادي بلبنان الحبيب ، بمجد صور
وببعلبك تشد موطننا المسن الى العصور
بالحاملات الشمس قبل البدء في ليل ضرير
بالارز يزرع في قديم الارض امجاد البذور
هذي الجبال هياكل جثمت على صخب الهدير
أنا ان وطئت صخورها قبلت أعطاف الصخور
وسفحت بالاجفان لون العز في المهد الطهور

قسما بقدسك يا تراب ، تجوب أبعاد الثغور
سنظل نذكر اخطلا في عالم الوطن الكبير

جورج غريب

قالت وهي تبكي بين ذراعيه :

– قل لي ، كم سيطول بنا العمر ونحن لا نستطيع ان نعيش كما يعيش غيرنا في دنيا الله ؟ ..

اجابها وهو يزفر بضيق ويضرب الارض بقدمه لينتقم من الاقدار :

– لا ادري ..

قالت بحزن عميق :

– والى اين سيقودنا هذا الحب الجارف الذي نحن فيه .. هل فكرت يوما بذلك ؟ .. الى اين ؟ ..

– الى لا شيء .

– لكننا لا يجب ان نبقى هكذا نتعذب الى الابد .. الا ترى انه يجب ان نفكر ولو مرة واحدة بجد ؟

– من قال اننا نهزأ ؟ ..

ثم وهو يمسح قطرات الدموع من عينيها بمنديله :

– الحياة ظالمة ، وبقدر ما هي رائعة احيانا فانها قاسية ..

وقال ايضا ونظراته الدافئة تتيه في سماء عينيها الصافيتين :

– وما دامت هذه الحياة قد خصتنا بقسوتها فاننا لن نستطيع ان نقف ونتصدى تيارها الجارف .

– اعرف فتاة كانت تحب شابا غير ان اهلها كانوا يريدون ان يزوجوها لاخر .. قررت الفتاة ان تضحي ، وهربت من بيت اهلها لتتزوج من الذي احبته ..

– اني اعرف اكثر من شاب قد فعلوا اكثر من الذي فعلته هذه الفتاة .. لكننا نحن ، انا وانت لا نستطيع .. ولكل منا ظروفه ..

– اذن فلا امل لنا من وراء هذا الحب .. اهذا ما تريد ان تقوله ؟

– من الخير لنا ان نبقى هكذا ، والايام .. من يعلم ، ربما تتساهل قليلا معنا .. و .. قاطعته :

– اذن لم يبق لنا الا ان نخدع انفسنا ونتحايل عليها قدر اجتهادنا ، اية دنيا ظالمة هذه الدنيا ..

– انت تبكين .. لماذا ؟ .. لماذا تبكين يا ايتها المجنونة ؟ .. هل تعرفين كم هي غالية عندي دموعك هذه ؟ ..

– ليتني استطيع ان اقتل نفسي بالبكاء فاتخلص من هذا العذاب الذي انا فيه ..

– تعالي نعود الى البيت ..

لم تقل شيئا ..

وقامت من مكانها ، وبقي هو في مكانه ،تركته في مكانه .. وعادت هي الى بيتها ..

★

دائما يصدمها الواقع المرير الذي هي فيه .. واقعها هي ، فترتعد كل اوصالها ، ويتسرب الخوف الى نفسها .. الخوف من الحقيقة المخيفة التي تعيش فيها ..

وحاولت في البيت ان تبحث

كلام الناس

بقلم حازم مراد

لوحدها عن الحل ..

وعادت بسرعة من سماء الخيال الى دنيا الواقع خائبة ..

كلاهما قد خلق للاخر ، لكن الاقدار تقف لهما في كل خطوة قد يحاول احدهما ان يجتازها للتقرب من الآخر ..

كلا .. ليس الاقدار وانما المجتمع ..

المجتمع لا يريد ان يضعهما معا في مكان واحد .. والظروف مع

قصة

المجتمع دائما لانه القوي .. لا لشيء ، وانما لانانية هؤلاء الذين ينتمون بمجموعهم اليه ..

وتعذبت كثيرا ..

كانت امها راقصة ، ومن قبل ان تكون راقصة كانت امرأة شارع تبحث عن اللقمة بين احضان الرجال ..

ثم تعرفت بأحد الرجال ، احبته ، وتزوجته ، ثم طلقته في ظرف ايام ..

واستطاع الرجل ان يثبت وجوده بحق في حياتها ، فخلف اثره في نفسها .. وقلبها .. وفي بطنها ..

وحملت منه ..

واتت هي الى العالم حاملة لامها الشؤوم ووجع الرأس .

وكان على أمها ان تضاعف من عملها قدر الامكان لتستطيع ان تدبر اللقمة لنفرين بعد ان كانت وحيدة في العالم ..

وعملت بجد .. وضاعفت العمل ..

ثم ، استطاعت ان تتقدم بسرعة في الدرب ، وبدل ان تبيع جسدها في الشارع والشرطة تلاحقها في كل مكان لتقبض عليها فتودعها الموقف .. ثم السجن ، اخذت تعرضه – في احدى الصالات الرخيصة تحت حراسة صاحبها ونفوذه وهي آمنة لا تخشى شر اقوى الناس ..

وتقدمت اكثر ..

وعرفها احد الرجال ، وكان صاحب صالة من الدرجة الاولى ، اعجب برقصها ، وبالطريقة الرائعة المغرية التي تلوى فيها جسدها الناعس ، وعرض عليها العمل في صالته ..

احست بالحظ يبتسم لها قليلا ..

ووافقت .. وعملت في الصالة ..

وعرفها الرجال .. كل الرجال ، وانتشر اسمها بسرعة في الاوساط الفنية ، وذاع بين الناس ..

نعيمة السورية ..

وهي ليست سورية ، ولم تر سورية في حياتها ، لكنها اختارت هذا الاسم لانه قد اعجبها ..

هذه هي امها ..

★

من الطرف الآخر ، كان هو يفكر ، ويحاول ان يبحث عن الحل .

وكانت مشكلة كبيرة .. اكبر من ان يستطيع ان يحلها ..

عائلته محافظة ، ووالده مازال يستمد افكاره من قلب العشيرة التي نزح منها اكثر من ثلاثين سنة ، وامه ما زالت متحجبة .. لم يرها في حياتها اي رجل غريب .. واخواته الثلاث قد حرمهن والده من مواصلة التعليم في المدرسة واقعدهن البيت كيلا يراهن الشباب وهن في الطريق فيتصدون لهن ، وعقل البنت صفير ، وقد يغرى احداهن احدهم ، وقد يفقد سمعته، حتى يأتيهن النصيب فيتزوجن ويزول الشر عنهن ، والخطر منه ..

و .. انفجر العذاب في نفسه .

ثم .. قرر ان يضحي بكل شيء ، ما عاد يجد غير هذا الطريق ليستطيع عن واسطته ان يبلغ الهدف الذي يرسمه له قلبه في كل لحظة ، وقد تكون التضحية جسيمة، غالية، وربما مدمرة .. لكن ليس امامه الا ان يخوض غمارها ..

وثارت ثائرة الاب ..

وانقلب البيت الهادىء الى جحيم لا يطاق ، وهب الكل مرة واحدة في وجهه ليوقفوه عند حده من العبث بمصائرهم .. والده ، والدته ، اخواته ، اقاربه ، اصدقاؤه ..

وبقي هو الوحيد في قلب المعركة.

حاول ان يقنعهم باللسان والقلب معا ، فكانوا اقوى منه ، ثم .. قرر ان يحاربهم بالتحدي والخروج عن الطاعة ..

قال له والده والثورة تندلع في كيانه كالبركان الهائج يبحث العمر كله عن اي شيء ليلتهمه وهو في الطريق نحو الفناء :

ـ تصور ، بعد كل هذا العمر الطويل الذي قضيته وانا اتمسك بالعفة والفضيلة اجد ولدي .. ولدي الوحيد الذي ابني عليه كل املي في الحياة ، أجده يتحداني ، ويتحدى كل مثلي في الحياة فيذهب ليتزوج من فتاة تشتغل امها راقصة .. ترى ، ما الذي سيقوله الناس عني .. وعنك ؟ ..

قاطعه وقلبه يتمزق في صدره ببطء :

ـ قلت لك انها من اشرف الفتيات ، فان كانت امها راقصة في صالة فما ذنبها هي ؟ ..

ـ بالنسبة لي لا اجد لها اي ذنب، واني اؤيدك انها من خيرة الفتيات ، واشفق عليها .. ربما اكثر منك ، واسامحها .. لكن المجتمع ، هل سيسامحها ويغفر لها الذنب الذي ارتكبته غيرها وطوق الاقدار به عنقها ؟ ..

ـ لكني انا الذي سأتزوجها لا المجتمع ..

ـ انت منه ..

ـ انا لا شأن لي بالناس ..

ـ ونحن .. انا وامك واخواتك .. ماذا سنفعل تجاه الناس .. ماذا نقول لهم ،واخواتك .. من سيغامر ويضحي باسمه وسمعته ليتزوج منهن .. قل لي ؟ .

وسكت الاب ، ابتلع انفاسه بضيق ، وقال بعطف واشفاق وهو يرى ولده يتعذب بين يدي الاقدار :

ـ انتبه قليلا الى نفسك يا بني ، والبنات كثيرات .. ان اية واحدة سيشرفها ان تتزوجك .. اية واحدة ..

ـ لكن قلبي لا يحب الا هذه الفتاة ..

ـ ستحب غيرها، وستنسى هذه بسرعة .. ان حبك لها ليس اكثر من نزوة عابرة ستزول بعد ان تتزوج من غيرها ..

ـ اني احبها ، ومهما حاولت ان افعل فلن استطيع ان ..

قاطعه الاب بمرارة :

ـ حسنا ، يمكنك ان تضحي بحبك وتدوس على قلبك اكراما لنا جميعا .. على الاقل من اجل مستقبل اخواتك .. ثم ، ابتلع الاب انفاسه ، واردف برجاء :

ـ ان الرجل يجب ان تكون له ارادة ، وان تكون له عزيمة .. وان يكون على استعداد دائما للتضحية بشيء في سبيل اشياء مقبلة .. وان يكون صلب الراي .. وانت رجلا، ولك ارادة ، وانت .. انت بامكانك ان تضحي قليلا لبعض الوقت ، لكن اخواتك المسكينات لا يستطعن ان يبقين هكذا بلا زواج كل العمر .. وحاول ان تفكر بمستقبلهن قليلا .

ـ انت تطلب مني ان اذبح نفسي.

ـ كلا ، فقط ان تفكر قليلا بنا .

★

لم يفكر بهم : كان قلبه يعمل بسرعة .. اسرع من عقله ..

وقرر ان يضع حدا لكل شيء بسرعة لينهي به عذابه .. حدا فاصلا يفصل ما بين حبه وبين الناس الذين يريدون ذبح هذا الحب.

و .. ذهب اليها ..

قال لها واعصابه الثائرة تتمرد ببطء في داخله :

ـ فلنتزوج ..

ارتعدت اوصالها للمفاجئة ، وارتعد قلبها ، واعصابها ، وغارت عيناها في عينيه تبحث فيهما عن مبلغ الحقيقة من الخيال ..

وكان جادا ..

وقال وهو يطويها بين ذراعيه برفق وحنان :

ـ قررت ان اتخطى كل عقبة قد تقف في وجهنا لتحجب عنا نور الحياة الذي نتطلع اليه من خلال حبنا العنيف ، ودست على كل القيم والاعتبارات البالية التي تغلف قلب

تسامح

★

أقول : وداعا ؟.. وهل من لقاء ؟ ... سعدت صباحا ، سعدت مساء
أكافرة بالهوى ... انني ... بخيل بكل حروف الهجاء
ضممتك في خاطري جمرة ... وأنت جليدية كالشتاء
وعانقت فيك رفوف المنى ... وأسقيت كل الليالي الظماء
وما كنت أدري بانك زيف ... وأنك شائهة الكبرياء !

صنعتك من حلمي طفلة ... يموج بروحك فيض النقاء
رأيت بعينيك رحلة عمري ... تسير على زورق من صفاء
وأشعلت في عمري شمعة ... لغيرك ما كان شمعي يضاء
ولكنه الحب .. لا يأتلي ... يزيف للقلب حتى الرياء !
رضيتك زيفا .. ويا ويلتا ... من الزيف في مهج الانقياء !

قطر — راضي صدوق

هذا المجتمع المنافق .. ولن تقف بعد اللحظة اية قوة في طريقنا ..

احست لاول مرة بالخطأ الكبير الذي تقدم عليه في غفلة من الوعي ، وهبت نفسها من سباتها العميق تثير في عقلها ما قد ينجم عليه هذا الزواج الغير متكافىء من متاعب في المستقبل ، وبكى قلبها في الجوارح .. احست به يخفق بشدة في كيانها وهو يتعذب ، حاولت ان تقاوم قليلا هذا العذاب الشديد الذي راحت تعانيه ، وان تسكت نداء القلب لتترك للعقل حرية التصرف في امر مستقبلها ، وقالت وهي تسحب نفسها ببطء من بين ذراعيه :

ـ لكن ، كيف سيتم الزواج من غير ان يباركه اهلك ؟ ..

ـ لا شأن لك بهم ، وابعديهم من راسك ..

ـ كنت اتمنى لو يكون الكل في صفاء ونحن نتزوج، لكن .. وا اسفاه

ـ نحن الذين سنتزوج لا هم ، واللعنة على الذي يرضى والذي لا يرضى ..

ثم ، وهو يحاول ان يستعيد بعض هدوئه :

ـ كم حلمنا ان نرى اليوم الذي نرتبط فيه معا بذلك الرباط المقدس المتين الذي لا يعرف الانفكاك حتى الموت .. وها انت ترين .. ان الله يريد لنا ان نكون لبعض ، اما الناس ، فاللعنة عليهم ما دمنا بخير.

لم تتكلم ، فقد كانت مطرقة تفكر والحزن يلتهم كل نفسها ، وقال هو :

ـ ان اهلي كما اخبرتك موديل قديم ، ووالدي يعيش بعقلية العشيرة التي قضى سنين عمره الطويلة فيها .. انه من مخلفات عهد لا يمكن ان تقنعه الدنيا الجديدة التي تتطور في كل يوم .. والزوجة التي يريدها يجب ان يختارها هو بنفسه دون ان ابدي انا اي راي في الموضوع .. كيف تريدين ان يوافق مثل هذا الاب ان يتزوج ابنه من فتاة لم يعرفها هو ؟ ..

ـ لكن ، كان من الضروري ان يوافق على زواجنا ..

ـ اني لا اجد اية ضرورة في الامر .. ما الضرورة فيه ؟ ..

ـ كل الناس يتزوجون هكذا ..

ـ اني لا اؤمن بهؤلاء ..

ـ لكننا بعضا منهم .

ـ اللعنة عليهم ، نحن لا نريد ان نعرفهم ، ولا نريد ان يعرفوننا .. يكفي اني احبك ، وانك تحبينني فنقضي العمر كله في سعادة لا حدود لها ونحن بعيدين عن هؤلاء العقارب الآدمية ..

★

و .. تزوجها ..

ثم ..

طلقها في اقل من شهر ..

لم يستطع ان يحتمل كلام الناس وقد كان يحبها اكثر من كل الناس .

بغداد — حازم مراد

الفقيد محمد فؤاد عبد الباقي

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

في أوائل هذا العام الهجري : (عام ١٣٨٨ هـ) انتقل الى رحمة الله عز وجل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وهو العالم الجليل الذي خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولا نزكي على الله أحدا ، وهو أيضا المؤلف الجليل الذي يدين كل مشتغل بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الامينة ليغترفوا من مفردات القرآن والسنة ونصوصها ، ما يريدون وما يحتاجون اليه عند الكتابة والتأليف ، بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السنة ، وستمضي مئات السنين واسم « محمد فؤاد عبد الباقي » أمام ابصار العلماء والباحثين ، لان كتبه لا يمكن الا ان تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع اليها يستنبئها كلما خانته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

وقد يحسن أن ناخذ فكرة عاجلة عن ترجمة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ثم نستعرض جهوده ، ومؤلفاته ، ولد عليه رحمة الله في الثاني من شهر آذار (مارس) سنة ١٨٨٢ م ، وكان والد الفقيد يعيش في بلدة « ميت حلفا » في محافظة القليوبية بالجمهورية العربية المتحدة (مصر) ، ثم انتقلت الاسرة الى القاهرة ، فعاشت في أحياء : « الماوردي » و « البغالة » و « شبرا » ، وهي من أحياء القاهرة .

ولم ينتظم في دراسة رسمية مألوفة ، بل اخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ، وبعد ان آنس من نفسه الكفاية العلمية ، والقدرة على التعليم قام بالتدريس في بعض المدارس الحرة والمدارس الحكومية في مصر ، وكان من زملائه في هذا المجال الاستاذ صادق عنبر الاديب المصري المشهور ، والاستاذ عبد الله أمين اللغوي المصري الضليع .

ثم اشتغل الاستاذ فؤاد عبد الباقي موظفا في البنك الزراعي المصري من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٣٣ ، وحينما تحول عمل البنك الى الحكومة أخذ الاستاذ فؤاد مكافأته منه ، وترك الوظيفة ، ثم فتح مكتبة للنشر ، ومكث يديرها زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ، ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها ، وأقام مدة في « الروضة » ، ثم انتقل منها الى « الجيزة » ، حيث أقام في جزء من عمارة على شاطىء النيل المبارك ، وظل في هذا المكان حتى توفاه الله ، وقد زرته في هذين المكانين أكثر من مرة عليه رحمة الله ، وطلب مني قبل وفاته بشهور ان اكتب مقدمة لكتابه « جامع مسانيد أطراف البخاري » واستجبت لرغبته ، وأخذ المقدمة فبعث بها الى المطبعة ، وكان يتمنى ان يرى هذا الكتاب مطبوعا بين أيدي المنتفعين به ، ولكنه مات والكتاب بين عجلات المطبعة ، وهو الكتاب الذي أذهب في تاليفه وتاليف أمثاله أشعة عينيه ، فكان في أواخر حياته مكفوف البصر عليه رضوان الله .

وقد تزوج الاستاذ فؤاد عبد الباقي في سنة ١٩١٠ ، ورزقه الله بأولاد : ثلاثة أبناء أكبرهم « عز الدين » الموظف بالشهر العقاري ، والثاني « جمال الدين » الموظف بالاسلحة والمهمات ، والثالث « عبد الباقي » الموظف بالشهر العقاري ، وله بنتان احداهما مفتشة بوزارة التربية ، والاخرى احدى ناظرات المدارس ، وقد حدثني عنهم الفقيد في لقاء لي معه يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٦٤ .

وحدثني عليه رحمة الله بأنه تلميذ للمرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، وصاحب « تفسير المنار » ، والذي يعد خليفة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وبأنه تلميذ للمرحوم العلامة في الحديث وعلومه الشيخ أحمد محمد شاكر . وذكر لي الفقيد ان صلته بالسيد رشيد رضا رحمه الله بدأت سنة ١٩٢٢ ، وظلت حتى مات السيد رشيد رحمه الله في الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ . والسبب في نشأة الصلة بينهما ان مطبعة « المنار » أصدرت رسالة عن الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فذهب الاستاذ فؤاد لشراء هذه الرسالة من مكتبة المنار ، ولم تكن له حينئذ صلة وثيقة بالشئون الدينية ، لانه كان مشغولا بوظيفة في البنك الزراعي المصري ، وفي مكتبة المنار تعرف الاستاذ فؤاد الى الاستاذ عبد الرحمن عاصم - ابن عم السيد رشيد رضا - ثم التقى الاستاذ فؤاد بالسيد رشيد رضا في المكتبة ذات زيارة ، فاعجب فؤاد بروح رشيد رضا القوية وعلمه الغزير ، وأرشده رشيد رضا الى طائفة من الكتب ليطالعها ، ثم توثقت الصلة العلمية بينهما ، وكان البنك الزراعي يغلق ابوابه يوم الاحد من كل اسبوع ، فكان فؤاد يجعل يوم الاحد شبه خالص للقاء السيد رشيد ، والاستمداد من علمه وارشاده وتوجيهه .

وظل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي يثني على السيد رشيد رضا حتى آخر حياته ، وكنت كلما لقيته يحلو لي ان اسمعه يعود الى الحديث عن رشيد رضا ، ولقد قال لي عنه : انه لا جدال في ان السيد رشيد رضا هو التلميذ الاول للشيخ محمد عبده ، وهو امتداد لحياته ، ولولا رشيد لما عرفنا الشيخ محمد عبده ، ولا نال هذه الشهرة ، لان مجلة المنار نشرت تفسير الاستاذ الامام وعرفت به ، والواقع ان السيد رشيد رضا كان خليفة للشيخ محمد عبده ، مع ملاحظة الفرق بين الشخصيتين .

وكان يتدفق في الحديث حول هذا المعنى فسألته : « اذا كان الشيخ رشيد رضا هو الذي خلف الشيخ محمد عبده فمن تراه أشبه الناس اليوم بالسيد رشيد رضا ؟ » فأجاب : لعله الاستاذ محمد بهجت البيطار عالم الشام .

وعدت فسألته : ان للسيد رشيد رضا كتابا عن « الربا » فيه أجزاء لم تعجب كثيرا من العلماء ، لانه أباح بعض صور الربا كما يقولون ، فما رأيك في الكتاب ؟ . فأجاب : لقد كتب السيد رشيد رضا كثيرا ، ولكنه لم ينته الى الرأي الفصل ، وهو نفسه كان لا يرى انه وصل الى النتيجة الحاسمة في هذا البحث .

وسألته ايضا : ما رأيكم في موقف السيد رشيد رضا من السياسة ؟ . فأجاب : ان رشيد قد اشتغل اولا بالقضية العربية ، ولما انتهت الحرب العالمية الاولى تمزق العالم العربي ، وانصرف رشيد عن السياسة الى الكتابة الدينية ، ولعل السبب في ذلك هو أنه وجد الجهود ستذهب هباء .

وسألته كذلك : يقول بعض الناس ان السيد رشيد رضا كانت له صلة بالانجليز ؟ . فغضب الاستاذ فؤاد ، ورفع صوته يردد قوله : لا .. لا .. هذا غير ممكن بالمرة ، هذا بعيد عن الحقيقة ، ومن يقول هذا فهو مخطيء . نعم كانت لرشيد صلة بالوهابيين والحجازيين ، وكانوا يعاونونه عن طريق امير البيان شكيب أرسلان ، وهو قد أيدهم .

وللاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي مجموعة من الكتب الجليلة النافعة التي تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة ، وأعظم كتبه التي كانت يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » الذي طبع لاول مرة سنة ١٣٦٤ هـ بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهو الكتاب الذي يجمع الالفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها ، وهكذا ، ويضع الكلمة وأمامها الآية او

الآيات التي وردت فيها ، مع التنبيه على المكي والمدني من هذه الآيات التي تذكر أرقامها .

وقد وضع الاستاذ عبد الباقي كتابه بعد ان راجع ما ألفه السابقون في هذا المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » للمستشرق الالماني « فلوجل » ، وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » ، وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

وقد صرح المؤلف بأنه جعل كتاب « فلوجل » اساسا لمعجمه ، فراجع الكتاب مادة مادة على معاجم اللغة وتفاسير الائمة اللغويين ، ونافش مواده ، حتى أعاد كل مادة الى بابها ، ولم يكتف بذلك بل عرض عمله على لجنة من خيرة العلماء الاصدقاء ، فما كان ظاهر الصحة أقروه ، وما خفي عليهم وجه الصواب راجعوه في المعاجم .

ولقد اخطأ « فلوجل » في عشرات من الكلمات حين ردها الى موادها ، واستدركها عليه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وكانت طريقته في ترتيب مواد المعجم ، هي الطريقة التي سار عليها من قبل الزمخشري في « أساس البلاغة » ، والفيومي في « المصباح » ، والتي اتبعها اصحاب المعاجم العصرية ، مثل البستاني في « محيط المحيط »، والشرتوني في « أقرب الموارد » ، وهذه الطريقة ترتيب أصول الكلمات على حسب اوائلها فثوانيها فثوالثها، فافتتح معجمه بمادة : «أ.ب.ب» وختمه بمادة : « ي.و.م » .

وكذلك اتبع في مشتقات المادة الابتداء بالفعل المجرد المبني للمعلوم ، الماضي فالمضارع فالامر ، ثم المبني للمجهول من الماضي والمضارع ، ثم المزيد بالتضعيف ، فالمزيد بحرف .. الخ ، ثم باقي المشتقات من المصدر واسم الفاعل واسم المفعول ، فباقي الاسماء .

ومما يدل على الجهد المضني الذي بذله في هذا الكتاب أنه أعاد نسخه وقت طبعه ، وحينما خشي ان تسقط منه لفظة في أثناء النسخ لجأ الى طريقة مأمونة في الحصر ، وهي ان يلتزم وضع خط ـ في مصحف اعده لذلك ـ على كل لفظة ورد ذكرها في تصحيح التجربة الاخيرة قبيل الطبع ، حتى اذا انتهى الكتاب ، رجع الى المصحف ، وعرضه لفظة لفظة ، فوجد انه لم يسقط من جميع ألفاظ المصحف في المعجم الا خمس عشرة لفظة قيدها في أول الكتاب ليستدركها كل قارىء له .

في مثل هذا العمل الجليل الدقيق النافع أذهب محمد فؤاد عبد الباقي نور عينيه رضي الله عنه . ولذلك حق له ان يرجو من الله ان يسير هذا المعجم مسير الشمس .

واذا كان « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ القرآني بالنص على مواطنه من كتاب الله عز وجل ، فان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعاني ، لا من ناحية الالفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الحكيم » الذي وضعه باللغة الفرنسية المستشرق الفرنسي « جول لابوم » وهذا الكتاب مقسم الى ثمانية عشر بابا هي : التاريخ . محمد صلى الله عليه وسلم . التبليغ . بنو اسرائيل . التوراة . النصارى . ما بعد الطبيعة . التوحيد . القرآن . الدين . العقائد . العبادات . الشريعة . النظام الاجتماعي . العلوم والفنون . التجارة . علم تهذيب الاخلاق . النجاح . وتحت كل باب منها فروع تبلغ عدتها ثلاثمائة وخمسين فرعا ، وتحت كل فرع جميع ما ورد فيه من آيات القرآن الكريم ، مما لم يسبق جمعه وتنسيقه في كتاب قبل هذا الكتاب .

ويبدو لنا ان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي قد عرف طريقه الى هذا الكتاب عن طريق عضويته في اللجنة الاستشارية للمجامع العلمية للمستشرقين .

وفي هذا الكتاب يقول الاستاذ الكبير المرحوم محمد فريد وجدي : « جاء هذا العمل من خير الاعمال وأجداها على الكتاب والمؤلفين والبحاثين ، فان الذي يحاول ان يكتب عن الزكاة ، او الاديان ، او بعض الانبياء ، او مبدأ المساواة ، او النظر الى مخلوقات الله .. الخ، مما يحب الكاتب ان يقتبس فيه من الكتاب الكريم ، يعجز عن استيعاب الآيات الواردة في هذه الموضوعات ، فاصبح بهذا الكتاب الجديد يستطيع ان يلم في مجال واحد بكل ما يود ان يقرأه عنه من الآيات ، لا بالهداية الى ارقامها من المصحف فحسب ، ولكن باثبات تلك الآيات نفسها في صلب الصفحات .

هذا عمل جدير بالاعجاب ، فاني كثيرا ما كنت اتطلب تلك الآيات ، فأتعب في استجماعها ، ولا أكاد أوفق لاستيعابها ، اما اليوم فقد زالت هذه العقبة من طريقي بسبب هذا الكتاب ، فاشكر لحضرة الاستاذ المحترم محمد افندي فؤاد عبد الباقي عمله المتواصل في ابراز هذه الذخائر العلمية » . وقد انتفع الشيخ محمد عبده بهذا الكتاب من قبل ذلك كثيرا .

وكما خدم الاستاذ كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع معجم حديثي عنوانه « مفتاح كنوز السنة » وهو معجم مفهرس عام تفصيلي موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الائمة الاربعة عشر الشهيرة ، وذلك بالدلالة على موضع كل حديث في صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدرامي ، ببيان رقم الباب ، وفي صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندي زيد بن علي وابي داود الطيالسي ، ببيان رقم الحديث ، وفي مسند احمد بن حنبل وطبقات بن سعد ، وسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي ببيان رقم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث ان يقف على الحديث الذي يطلبه بغير عناء .

وكان هذا المعجم في الاصل موضوعا باللغة الانجليزية ، وضعه المستشرق « أ.ي. فنسنك » الهولندي ، وقد حاول المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر ان يترجمه ، مع عدم معرفته اللغة الانجليزية ، وبعد ان ترجم نحو ثلثه بمعونة بعض اصدقائه الذين يعرفون الانجليزية، لم يستطع المضي في العمل لكثرة الشواغل ، وكان المرحوم السيد محمد رشيد رضا قد اطلع ايضا على هذا الكتاب في لغته الاولى فاعجب به ، واستأذن مؤلفه في ترجمته ، فأذن له ، واتفق السيد رشيد مع الاستاذ فؤاد عبد الباقي على اقتسام العمل بينهما ، بالتعاون على تصحيحه وتنقيحه ، ولكن الشواغل شغلت السيد رشيد رضا ، ومضى الاستاذ عبد الباقي في العمل وحده بجد ومثابرة ، حتى أتم ترجمة الكتاب .

ولقد أثنى السيد رشيد رضا كثيرا على هذا الكتاب ، فعده احد نفائس الكتب الاسلامية ، وذكر انه لا يستغني عنه أعلم علماء الحديث ، وقال عنه انه « يهديك الى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها ، فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر علي ثلاثة ارباع عمري الذي صرفته فيها ، ولكنني من الاستجابة لمن اقترحوا على ان اضع كتابا جامعا للمعتمد فيها ، وكتابا آخر للمشكل منها في نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنه » .

ويقول عن الكتاب ايضا الاستاذ محمد فريد وجدي : « قد كان هذا الفهرست حاجة ماسة لكل مشتغل بالاحاديث النبوية ، فان أحدنا كان يرى الحديث فلا يعرف له تخريجا ، ويحار في البحث عنه ، فاصبح يجده على طرف الثمام منه » .

هذا وقد اتم الاستاذ عبد الباقي عمله في هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ هـ ٢٧ يولية سنة ١٩٣٤ م. ثم أعقبه بكتاب آخر في عدة اجزاء بعنوان : « تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة

طوفان

هات السفن ، تأوينا
هذا وقت الغمر
أدخل من كل صنف زوجين
وابحـر فينـا
عبـر الامداء المجهوله .

ارفع مرساة السفن
تمضي حيرى ، غربا شرقا
غمنا بالاوحال تطمينا
قد آن وقت الخلق .

لم يبق ما يغرينا
غاص الحب في الوحل
أية قيمة ، تحيا في عالم نكر
يرفض حتى الرفض ؟

اللاذقية — عيسى فتوح

والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي » . ويراد من هذا الكتاب تذليل العقبات التي تعترض الطالب للمنفعة من « مفتاح كنوز السنة » بسبب اختلاف الطبعات لكتب الحديث الاصول .

والكتاب الذي ذكره فؤاد في عنوان كتابه ، وهو « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي » كتاب ضخم جدا ، اشترك معه في وضعه مجموعة من المستشرقين ، وهو يطبع في هولندة ، وقد نشر منه حتى وفاة الاستاذ فؤاد عبد الباقي واحد وأربعون جزءا ولا تزال فيه بقية كبـيرة .

ومن الكتب التي اخرجها المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو في ثلاثة أجزاء ، ويضم الاحاديث التي اتفق على روايتها الامام البخاري والامام مسلم ، وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد المسلم فيما اتفق عليـه البخاري ومسلم » للشيخ حبيب الله الشنقيطي ، ولكن الاستاذ فؤاد عبد الباقي زاد على ما في كتاب الشنقيطي خمسمائة حديث فاتت الشنقيطي .

وللاستاذ عبد الباقي كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري » وعنوانه واضح في الدلالة على موضوعه ، وقد نشر كذلك نشرا علميا مفهرسا كتاب « الموطأ للامام مالك » في جزئين ، وسنن ابن ماجه في جزئين ، وصحيح مسلم في خمسـة اجزاء ، وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، وأشرف على تصحيح وتحقيق التفسير المسمى « محاسن التأويل » للقاسمـي في سبعة عشر جزءا ، ونشر كتاب مناقب الامام علي والحسين وامهما فاطمة الزهراء ، وكتاب الادب المفرد ، وخرج آيات واحاديث كتاب « شواهد التوضيح » .

وهناك كتب مخطوطة جليلة للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي عليـه رحمة الله ، منها كتاب « قرة العينين في اطراف الصحيحين » ، وهو في خمسة اجزاء ، وكتاب : « جامع مسانيد صحيح البخاري » وهو في ستة اجزاء ، وكتاب : « جامع الصحيحين » ، وكتاب « دستور المسلمات المؤمنات : ما لهن وما عليهن ، من كتاب الله والحكمة » .

ومن جهود الاستاذ فؤاد في خدمة السنة ان الحكومة المصريـة فكرت في سنة ١٩٥٠ في مشروع لجمع السنة الصحيحة في كتـاب واحد ، وألفت لجنة برياسة المرحوم الشيخ مأمون الشناوي شيخ الجامع الازهر حينذاك ، وكان من اعضائها المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر ، والمرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري ، والمرحوم الشيخ عبد الرحمن حسن ، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، والشيـخ رضوان محمد رضوان ، وفقيدنا ، ومضت الايام ولم تحقق اللجنـة غرضها ، ثم انفضت ، ولكن الاستاذ عبد الباقي ظل يعمل وحده حتى جمع البخاري ومسلم على ترتيب مسلم ، وقدم الكتاب ، ورجا أن يطبعوه ، ولكنهم لم يفعلوا ، وهذا الكتاب فيما أرجح هو الكتاب الذي سبق ذكره باسم « جامع الصحيحين » .

ومن الطريف في ترجمة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي انه كـان يقول الشعر في شبابه ، وكان هائما بحب الخلافة التي كانت قائمـة حينئذ ، وبالتمدح في شخص الخليفة الذي يراه رمزا لدولة الاسلام وأمة المسلمين ، وقد قال قصيدة في سنة ١٩٠٥ القاها في جمعيـة الشاة الحديثة التي كانت في درب الجماميز بالقاهرة ، في المدرسـة التحضيرية الكبرى ، وكان في أوائلها :

صحا القلب من ذكرى حبيب ومنزل   وبات على وعد من السعـد مقبـل
فلم يتطربني غـزال مربـب   ولم يشجني قد ولا طـرف أكحل
فقدمـا تولى القلب وانفك هازئا   بما بث فيه من جـوى وتململ

ومنهـا قولـه :

وان لم يزن عبد الحميد قصائدي   فلا كنت في هذا المقام بـأول
وكم لك في اغفاءة الفجر يقظـة   لترتيل آيـات الكتـاب المنـزل
تمخض عن فكر يذب عن الحمـى   ويحمى حماه عـن عـداة وعـذل

وله قصيدة أخرى أوسع فيها التغني بمقام الخليفة ، ومنها قوله :

صاحب العرش والخلافة والتا   ج ، وليث الوغى ، ورب الممالك
ان عيد الجلوس عيـد البرايـا   واقتبال الزمـان فـي اقبالـك
وهدى العالمين ما دمـت فيهـم   تجمع الكل تحت ظـل هلالـك
وجمال الدنيـا بقاؤك فيهـا   تهتـدى في كمالهـا بكمالـك
لـك عيـدان في السماء وفي الار   ض ، فعيد هنا وعيـد هنالـك

وقد نظم هذه القصيدة سنة ١٩٠٥ ، وهي منشورة في كراسـة صغيرة باسم الاستاذ « سيد محمد » ناظر المدرسة التحضيرية بـدرب الجمـاميز .

وكان الاستاذ فؤاد يكتب احيانا بعض المقالات في بعض المجلات ، ولكنه في كتابه هذا لا يكاد يخرج عن مجال علوم القرآن والسـنة ، ومن بين مقالات نشرها تباعا في مجلة الازهر عن « منزلة السـنة مـن الديـن » .

هذه لمحة عاجلة عن سيرة هذا العالم الجليل الذي قضى حياتـه وأفنى بصره في خدمة المعاجم الخادمة للقرآن والحديث ، فرحمة الله عليه ورضوانـه له .

ويبقى بعد ذلك واجب الامة نحو هذا العالم الجليل ، ولعل في طليعة هذا الواجب ما يلي :

أولا : كتابة ترجمة مفصلة عن حياة الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي وآثـاره .

ثانيا : طبع ما لم يطبع من كتبه وبحوثه .

ثالثا : اعادة طبع ما نفد من كتبه المطبوعة ، او قلت نسخه .

رابعا : جمع مقالاته وبحوثه المتناثرة في كتاب مطبوع .

والله تعالى هو المسئول ان يوفق امته للوفاء لذكراه ، انه ولـي التوفيـق .

القاهرة — احمد الشرباصي

الطفـلة .. الام

الـى طفلتـي ريـا

لم لا تنامين ؟
يا باقة مـن لين
الليل للكبـار
لم لا تنامـين ؟

تبكرين الصبح ، يا قداحة صافيه
بشرى على السرير ، عنقود رياحين
ثرثارة اليدين ، آذار على الداليه
وتسالين جمة عن حال ((لعاباتك)) الغافيه
يا ام ، يا عذراء ، يا حانيه ..
ارضعتهن اليوم ؟ يا طيبا ويا عافيه
أدبتهن اليوم ؟ لا شـاك ولا شاكيه
القطة القطنية السوداء ، والعصفور في ائتلاف
والقرد ذاك القارع الطبول في حلاوة الزفاف
والطفلة ــ النايلون في فراشها أميرة شرقية العفاف
وأرنب صاغ ، وثعلب يتوب في نهاية المطاف
سفينة نوحية جمعت الضفاف
لا حقد ، لا خصام ، لا اختلاف
وانت يا ريا تغنين
لم لا تنامين ؟
الليـل للكبار
لم لا تنامين ؟

مشطت ذاك الشعر المسرور كم مره
زرعت فيه وردة بنفسجية الندى ثره
نثرته للريح ، فالريح على فوديك مفتره
دورت خصلة على الجبين ، ما اغلاك يا دوره !
هل انت اسبانية الفطره ؟
يا ام ، يا عذراء ، يا غانية البشره
((غلقت ابوابا)) عليك فالحجره
قامت قيامات بها ، لا خوف ، لا حسره
سرقت اصباغا من الدولاب ، في صمت ، وفي حيره
كقطة رشيقة النظره
شمست خديك ولونت الشفاه الحمر بالحمره
فجنت المرآة مستره

وجه صغير يشتهي سحره
.. وانت يا ريـا تغنـين
لم لا تنامين ؟
لم لا تنامين ؟

قفزت ، صرخت كاوركسترا زرازير
بدء احتفالات تشارين ، وموسيقى ازاهير
سألت آلافا . أيا فمـا سكير
لعبت ، رفرفت كالوان تصاوير
رسمت حتى ضجت الاوراق من فرط انحناءات وتدوير
قرأت ــ كم لثغت ــ فالحرف له نشوة تحوير
.. لم لا تنامين ؟
الليل للكبـار
لم لا تنامين ؟

غسلت ثوب الطفلة ــ العروس ما ارشقه !
أجريت انهارا حواليك ــ
ــ الم ينظف ؟ أما استعاد رونقه ؟
عاتبتها كالام ــ لن تلعب في التراب ــ
صدقت حكايا الثقه
والطفلة العروس من آدابها مطرقه
ملفوفة اليدين كالشرنقه
.. وجاءك الصغار ضيفانا ، ينابيع من الغصون مورقه
موسقة ترضع من موسقه
يا باقة نشوى مزقزقه
شربتم الهواء في الاكواب ، لا شايا ولا حليب
ضحكتم .. سمرتم ، فالارض عرس وطيب ..
وانت يا ريا تغنين
تغنين .. تغنين
تغنين تغنين
الليل للكبار
اقسى من النهار

لندن — صلاح النيازي

وصفي العنبتاوي - شكري المهتدي

عصام حماد

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ – وصفي العنبتاوي

ظل الشعار الذي يحمله ويتغنى به قول « افلاطون » : « من القبيح ان نشذب من كرومنا الورق والاغصان ، ولا نشذب من نفوسنا الشهوات والنزعات ! » .

ولد وصفي العنبتاوي في نابلس عام ١٩٠٢ واكمل دراستيه الابتدائية والاعدادية فيها ، ويمم بيت المقدس واتم دراسته الثانوية في «الكلية الانكليزية » وكان اللغوي الشهير المعلم نخلة زريق استاذه في العربية وآدابها ، ونال شهادته في صيف ١٩٢٣ وعينته ادارة المعارف بفلسطين استاذا للغة الانكليزية في « المدرسة الصلاحية » الثانوية بنابلس ، كما انتخبته في العام نفسه بعثة على نفقتها الى الجامعة الاميركية في بيروت حيث نال شهادة بكلوريوس علوم في الاجتماعيات والتربية عام ١٩٢٦ وعين مدرسا للتاريخ والادب الانكليزي واصول التربية والتعليم في « الكلية العربية » بالقدس . ثم انتخب عام ١٩٢٧ بعثة على نفقة حكومة فلسطين الى جامعة كمبردج بانجلترا . وبعد ان اقام فيها ثلاث سنوات عاد الى فلسطين عام ١٩٣٠ يحمل شهادة بكلوريوس علوم (بشرف) في التاريخ والجغرافيا وعين استاذا لهاتين المادتين في « الكلية العربية » و « الكلية الرشيدية » بالقدس (١٩٣٠ – ١٩٤٠) وخلال تدريسه احرز شهادة استاذ علوم من جامعة كمبردج عام ١٩٣٤، وعهد اليه بتفتيش مادتي التاريخ والجغرافيا في سائر مدارس فلسطين الاميرية وظل يزاول عمله هذا حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٤٨) .

وبالاضافة الى تدريسه في « الكلية العربية » و « الكلية الرشيدية » اختير عضوا في مجلس التعليم العالي الفلسطيني ، وترأس الوفد الفلسطيني الذي اشترك في المؤتمر الثقافي العربي الاول الذي دعت اليه اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، المنعقد في بيت مري بلبنان عام ١٩٤٦ .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى عينتهوزارة التربية والتعليم السورية مفتشا اختصاصيا للاجتماعيات واللغة الانكليزية وبقي في عمله هذا مدة اربع سنوات (١٩٤٨ – ١٩٥٢) كما حاضر في كلية الاداب بالجامعة السورية بدمشق .

وفي عام ١٩٥٢ انضم الى اسرة البنك العربي بعمان حيث شغل وظيفة كبرى ، وفي عام ١٩٥٦ زار الولايات المتحدة وحاضر في نواد عديدة في شؤون الشرق الاوسط ، وفي مطلع عام ١٩٦٤ احيل على التقاعد في البنك العربي وعين استاذا للجغرافيا في الجامعة الاردنية.

من آثاره القلمية : اسهم الاستاذ « وصفي » في تصنيف وترجمة طائفة من الكتب المدرسية في الجغرافيا والتاريخ ، كما اشرف عام ١٩٤٦ على اعداد اطلس جغرافي باسم « اطلس العالم » بتكليف من ادارة المعارف بفلسطين . وهذه بعض اسماء الكتب التي اسهم في وضعها وترجمتها بالمشاركة مع اخوان له من لبنان والعراق وفلسطين امثال خليل السكاكيني وعبد الله مشنوق وجورج شهلا وسعيد الصباغ واحمد خليفة ورفيق التميمي وسعيد الدره :

(١) جغرافية الدنيا الجديدة .
(٢) جغرافية الدنيا القديمة .
(٣) الجغرافية الحديثة المصورة (٣ اجزاء) .
(٤) الجغرافية الاقتصادية .
(٥) معالم التاريخ القديم .
(٦) جغرافية الشرق الادنى .
(٧) المجمل في تاريخ العصور المتوسطة والحديثة .
(٨) القراءات الجغرافية المصورة (٣ اجزاء) .
(٩) القراءة التاريخية المصورة .
(١٠) جغرافية فلسطين والبلاد العربية .
(١١) حوض البحر الابيض المتوسط وغربي اوروبا .
(١٢) جغرافية البلاد العربية .
(١٣) الجغرافية الاعدادية .
(١٤) الجغرافية الثانوية (جزءان) .
(١٥) القارات الخمس .
(١٦) المملكة الاردنية الهاشمية .
(١٧) الوطن العربي والعالم .

نموذج من نثره : « ان هذا اليوم السعيد ، يوم هجرته عليه السلام ، من مكة الى المدينة يذكر المسلمين عامة ببدء تاريخ العرب والاسلام ، ويذكرنا يوم كان العربي يهب نفسه لله يوم يدعو الداعي الى الجهاد في سبيله ذلك لان الدين الجديد علمهم ان الامة يجب ان يكون لها ، كما للفرد ، مثل أعلى ، وان المؤمنين في مشارق الارض ومغاربها امة واحدة ، لكل منهم على الآخر ما للاخ على أخيه من حق ، فيجب ان يكونوا يدا واحدة في سبيل الله ، يتحابون بنوره ، ويبذلون في سبيلهم المهج والارواح .

يذكرنا هذا اليوم السعيد بانتشار الدين الاسلامي الطهور في مدة نكاد لا نصدق حيث خضع له الاسمر والاسود والابيض والاصفر . يذكرنا بالدعوة الاسلامية وما فيها من تعاليم سامية ، وما تخللها من محن ونكسات صبر عليها ابطال العرب . يذكرنا فوق هذا كله بسيرة نبي ارسله الله هاديا وبشيرا ونذيرا ، له من المواهب الممتازة ، والمواقف المشرفة والاحاديث القيمة والسيرة التقية النقية ما يعجز الانسان عن وصفها .

أأتحدث عن الرسول عليه السلام وقد ورث مجده وشرفه عن طريق الدين ؟

أأتحدث عن نشأته يتيما لا تحدب عليه ام ولا يحميه أب ، حيث نشأ فقيرا لم يترك له أبوه سوى خمسة جمال وقطيع من الغنم ، فعرف طعم اليتم وطعم الفقر .

رعى الرسول عليه السلام الغنم في مكة فعرف من رعايته الغنم كيف ترعى الامم .. رأى اخلاق الناس موبوءة ، ورأى فريقا منهم يعبد المال من دون الله ، فكره عبادة المال في الحضارة كما كره عبادة الاوثان في البداوة ، ووقف على اخلاق هؤلاء وهؤلاء فما اعجبته هذه ولا ارضته تلك ، انما كان يرضيه مواقف يدعى فيها للحق والعدل !

جاءه الوحي فلمعت نفسه ، واضاء العالم حوله ، فكشف له عن كل شيء ، وبدأ يقرأ العالم من جديد ، فاذا كل شيء جديد . كانت لحظة رائعة كل الروعة ، جليلة كل الجلال ، رهيبة كل الرهبة، عندما رأى ما لم يكن من قبل قد رأى ، وسمع ما لم يكن من قبل قد سمع ، ساعة تجلى لهالحق في كل شيء ، وكانت لحظة فارقة بين « محمد » بشرا و « محمد » بشرا ورسولا . من ذلك الحنين استهل

حياته في الجهاد وتصوير الدعوة وتبليغها كما أوحيت اليه والسعي في ايصالها الى كل صقع وناد والسير بها خطوة خطوة كما أمر الله حتى بلغت غايتها ، وجاهد في حمايتها بالرفق ان أغنى وبالسيف ان عجز .

هاجر رسول الله الى المدينة ليكون بين انصاره وحماة دعوته فصبغت المدينة بصبغة اسلامية ، وتآخى المهاجرون والانصار ، واقيمت المساجد ، وجلجل الاذان وتردد صداه ، واقيمت الشعائر في طمانينة وأمن ، وجاء الاسلام ينظم الحياة الاجتماعية كما نظم الحياة الروحية ، ثم سار بخطى واسعة حتى عم الجزيرة ، ثم ولى الرسول عليه السلام وجهه حول فارس والروم فكتب الى ملكيهما يدعوهما الى الاسلام ، ويحملهما وزر قومهما وضلال شعبيهما ، وأخذ يعد لغزو الروم في الشام وترك العبء لرجال اهتدوا هديه ، واستنوا سنته ، فادوا الامانة التي حملوها ، ونهضوا بعظائم الامور التي كلفوها ، فما وهنوا في سبيل الله وما استكانوا . فاذا فارس مسلمة ، واذا الروم مستسلمة، واذا الارض تردد جنباتها «لا اله الا الله محمد رسول الله»

لقد علمنا الاسلام ان نعد انفسنا ما استطعنا من قوة ، ونتسلح بالعلم ، ونندفع نحو الصالح من الاعمال ونتحلى بالخلق والتقوى .

واستطاع بناة الاسلام الا يقيموا امبراطورية عربية امتدت من شواطىء الاطلسي الى تخوم الصين ، وتمكنوا من صهر الاقوام المغلوبة في بوتقة الاسلام . ولم يكتف هؤلاء الرواد ببناء امبراطورية عربية بل شيدوا صرحا ثقافيا فكانوا هم ورثة المدنيات القديمة التي ازدهرت في ما بين النهرين وضفاف النيل وعلى الشواطىء الشرقية من حوض المتوسط ، وهضموا اهم مظاهر المدنية والثقافة اليونانية والرومانية فكانوا بذلك اداة لنقل هذه الثقافة الى اوروبا خلال القرون الوسطى . وفرضوا العربية التي تتكلم بها الملايين من الناس لغة العلم والثقافة . ومن ثمار هذا التاريخ العربي المجيد نرى ما لا يقل عن ٣٠٠مليون مسلم منتشرين في العالم ، يهدفون هدفا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ، ويولون وجوههم شطر المسجد الحرام ، خمس مرات في اليوم الواحد. لقد ساهم الاسلام مساهمة فعالة في رفع مستوى الثقافة البشرية وقدم العرب للعالم خدمات يذكرها المؤرخون المنصفون بالشكر والاطراء.

٢ ـ شكري المهتدي

ولد شكري المهتدي في بيت المقدس عام ١٩٠٦ وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية في « مدرسة المطران » بالقدس ونال الشهادة الثانوية عام ١٩٢٤ وقصد الجامعة الاميركية في بيروت طلبا للعلم ، واحرز شهادة بكلوريوس في التاريخ بدرجة الامتياز عام ١٩٢٧ ، وكان من زملائه الدكتور فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق الاسبق والدكتور شارل مالك وزير الخارجية اللبنانية الاسبق واسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة في السودان ومحمد العدناني المربي والشاعر المعروف .

وخلال وجوده في الجامعة الاميركية أعلنت الجامعة عن «مسابقة مونرو (١) للتاريخ » وسمحت لطلاب سائر الكليات بدخولها فوضع « المهتدي » دراسة تاريخية نفيسة باللغة الانكليزية بعنوان :

(١) جيمس مونرو (١٧٥٨ ـ ١٨٣١) خامس رئيس للولايات المتحدة ، أسهم في حرب الاستقلال وعين وزيرا مفوضا للولايات المتحدة في باريس (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦) وتولى المفاوضة لشراء لويزيانا ، وزير خارجية (١٨٠١ ـ ١٨١٧) تولى رئاسة الجمهورية (١٨١٦ ـ ١٨٢٤) اقترن اسمه ب « مبدأ مونرو » الذي بسطه في رسالة للكونغرس الاميركي (١٨٢٣) معارضا فيه كل تدخل اوروبي ضد ثورة اميركا اللاتينية على الحكم الاسباني ، ومؤكدا ان القارة الاميركية لن تخضع بعد الان للاستعمار الاوروبي ، وان كل محاولة لامتداد الاستعمار الى اميركا تعد خطرا على سلام الولايات المتحدة وامنها .

« سقوط مملكة القدس اللاتينية The Fall of the Latin Kindom of Jerusalem » فنال عام ١٩٢٦ الجائزة الاولى وكانت نقدا . وفي هذا العام اعلنت الجامعة الاميركية عن مسابقة خطابية باللغة الانكليزية وسمح لطلاب سائر الكليات بدخولها فالقى « المهتدي » خطبة نفيسة في ردهة « وست هول » بالجامعة كان عنوانها :

« مسؤولية الطلاب في الشرق الادنى Student Responsibility in the Near East » فنال الجائزة الاولى وكانت مدالية فضية محفورا عليها شعار الجامعة الاميركية واسم الفائز بها .

وعاد « المهتدي » الى القدس وتعين استاذا للتاريخ واللغة الانكليزية في « الرشيدية » و « المطران » و « الكلية الانكليزية » وسلخ في التدريس عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٩ عين مترجما في المحكمة المركزية بالقدس وفي عام ١٩٣٦ نقل رئيسا لكتاب محكمة الاستئناف فيها . وفي عام ١٩٤٠ عين حاكم صلح في بيت المقدس فمسجلا لمركزيتي يافا وحيفا (١٩٤٢ ـ ١٩٤٤) وفي عام ١٩٤٧ عين عضوا في المحكمة المركزية بنابلس .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) لجأ الى مدينة رام الله بفلسطين مخلفا مكتبة قيمة في داره بالشيخ جراح تضم مجموعات من المراجع التاريخية والقانونية بالعربية والانكليزية ، لكن العدو الغاشم سطا على المكتبة ، وقصف الدار بنيران مدافعه لان مالكها عربي !

وبعد توحيد ضفتي الاردن (١٩٥٠) عين « المهتدي » عضوا في محكمة الاستئناف بالقدس . وفي عام ١٩٥٢ نقل مستشارا حقوقيا لوزارة العدل بعمان وفي عام ١٩٥٤ استحدث منصب « المستشار الحقوقي » لرئاسة الوزراء فكان « شكري » اول من شغله وما زال فيه.

وخلال عمله الرسمي مثل الاردن في « مؤتمر قانون البحار » المنعقد في جنيف عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠ وانتدب عضوا في الوفد الاردني في دورة هيئة الامم المتحدة المنعقدة في نيويورك عام ١٩٥٨ وفي ١٩٦٢ رأس الوفد الاردني الى القاهرة للنظر في تعديل ميثاق جامعة الدول العربية .

عالج « شكري » موضوعات تاريخية هامة ، وفي عام ١٩٢٨ نشر فصلا قيما في « السياسة الاسبوعية » بعنوان « الفلسفة الاسلامية » قابله ذوو العقول النيرة في البلاد العربية بالاطراء والتقدير . وفي الفترة الواقعة بين (١٩٢٨ ـ ١٩٣٠) نشر سلسلة مقالات في «المقتطف» بعنوان « مفكرو الاسلام » دلت على وعيه والمامه الشامل بالفلسفة الاسلامية والتاريخ العام .

وفي اعوام (١٩٤٤ ـ ١٩٤٧) أذاع من "دار الاذاعة الفلسطينية" بالقدس سلسلة احاديث طريفة بعنوان « السوابق القضائية في فلسطين » وقد عالج فيها قضايا هامة كانت من صميم واقع الناس ومعاملاتهم اليومية . وقد لاقت هذه الاحاديث استحسانا من رجال القضاء واسرة المحاماة في فلسطين .

خلق الله « شكري المهتدي » مؤرخا واسع الاطلاع ، ولو أتيح له جو من البحث العلمي ، كما أتيح للموهوبين الاخرين ، لزود خزانة التاريخ العربي بموضوعات قيمة ، ولكشف القناع عن مطويات طريفة ونقاط خفية في تاريخنا القومي .

لكن القضاء كسب فيه قاضيا فاضلا ثم مشرعا له آراؤه ونظرياته، فخسر التاريخ به محققا بارعا بعيد النظر صائب الراي .

٣ ـ عصام حماد

بين اطلال « جرش » المدينة الاردنية العريقة بآثارها رأى عصام حماد نور الحياة من أب فلسطيني وام جركسية الاصل . وبعد ان شدن وترعرع عاد به والداه الى « نابلس » فانهى دراسته الابتدائية في

« كلية النجاح الوطنية » والثانوية في « الكلية الرشيدية » بالقدس.

وفي عام ١٩٤٢ اجتاز « عصام » امتحان التعليم العالي الفلسطيني ، وبعد عامين انضم الى اسرة دار الاذاعة الفلسطينية كمساعد لمراقب البرامج العربية وظل يعمل فيها حتى دخلت الجيوش العربية فلسطين (١٤ - ٥ - ١٩٤٨) ووقعت الحرب الفلسطينية (١٥ - ٥ - ١٩٤٨) فاشترك مع بعض الموظفين العرب في دار الاذاعة الفلسطينية امثال السادة : محمد اديب العامري وراجي صهيون وحازم نسيبه وعصمت النشاشيبي وعصام النشاشيبي وعباس حماد وتوفيق ابو شنب في نقل بعض الاجهزة الاذاعية من القدس الى رام الله ابقاء على صوت « هنا القدس » يلعلع في بلد عربي .

وفي أعقاب عام ١٩٤٩ عمل « عصام » في دار الاذاعة السورية بدمشق مراقبا رئيسيا لشعبة المذيعين وامضى في عمله الاذاعي هذا حتى نهاية عام ١٩٥٢ ثم عاد الى دار الاذاعة الاردنية برام الله مراقبا للبرامج العامة .

وفي اوائل عام ١٩٥٧ حملته ظروف قاهرة على مبارحة الاردن الى دمشق حيث عمل في دار الاذاعة السورية مستشارا للاذاعة ومديرا عاما لبرامجها . وفي نهاية عام ١٩٥٨ تلقى عرضا من اذاعة المانيا الغربية وعين المسؤول العربي في القسم العربي منها ، وظل في عمله هذا حتى منتصف ١٩٦٥ .

وخلال السنوات السبع التي أمضاها في برلين الغربية تعلم اللغة الالمانية والدرامانولوجيا ، وتخصص في العمل التلفزيوني ، كتابة واخراجا ، وأعد اطروحة لنيل (الدكتوراه) تحت عنوان « أثر أجهزة الاعلام في تطور الادب العربي الحديث » لكن دعوته الى الوطن الاول حالت دون تقديمها .

وبعد ان صدر قانون العفو العام سنة ١٩٦٥ في الاردن عاد « عصام » وأشرف على البرنامج الذي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقدمه من دار الاذاعة الاردنية .

والمتعمق في درس « عصام » من الناحيتين النفسانية والفكرية يخرج بالملامح التالية :

- انسان : من طراز رفيع يعتز بانسانيته وبالمثل العليا التي طالما بشر بها الانبياء والمصلحون وقادة الفكر الانساني منذ فجر التاريخ .

- مسلم : موحد بالله خالق كل شيء ، مؤمن بان العقل قبس من نوره ، والدين في نظره جوهر لا مظهر .

- عربي ، يفخر بعروبته ويؤمن بان للعرب حقا كاملا في كافة أقطارهم ، لا ينازعهم فيه منازع . ويوقن في قرارة نفسه بان للامة التي تحدر منها دورا هاما في المجال الحضاري .

- وطني : يفهم ان الوطنية ، بعد حلول النكبة الاولى والنكبة الثانية ، حرب على الاستعمار والصهيونية ، وكفاح في سبيل مستقبل أفضل .

- حر : في تفكيره ومؤمن بالحرية المطلقة الى حد لا تتعارض فيه وحرية الاخرين .

وهذه الملامح العريضة لتفكير « عصام » هي نتيجة لمشاعره النفسانية وقراءاته المنوعة وتجاربه طيلة عراك عنيف مع الايام .

و « عصام » تأثر في ميوله واتجاهاته العامة بالمرحوم والده الذي لقي وجه ربه شهيدا برصاص الجند البريطاني في ثورة عام ١٩٣٦ . وكان هذا الوالد ، في حياته ومصرعه ، درسا خالدا لشاعر مقت الاستعمار في أي لون من الالوان ، ومناجزة البغي وكبت الحريات في كل زمان ومكان .

من آثاره القلمية : لو قدر لـ « عصام » ان يرى وطنه المغصوب حرا طليقا من العلج الاجنبي ، وان يحيا حياة محفوفة بالطمانينة والاستقرار لسخا على الخزانة العربية بالوان من شعره ونثره . ورغم تشرده من جراء النكبتين المريرتين اللتين اصابتا امته المظلومة فقد طلع علينا بالآثار القلمية التالية :

(١) الاذاعة للجميع : (مجموعة دراسات اذاعية في الكتابة والاخراج) طبع عام ١٩٥٢ .

(٢) ديان بيان فو : (ملحمة شعرية) طبعت عام ١٩٥٤ .

(٣) رسالة الى ولدي : مطولة شعرية يخاطب بها « مهدي » اكبر انجاله طبعت عام ١٩٥٧ .

(٤) في الفن العربي والالماني المقارن : طبع في برلين عام ١٩٦٢ .

(٥) متفرقات منثورة من الشعر والابحاث والقصص : طبع في برلين عام ١٩٦٢ .

وبعد أن وقعت رام الله ذليلة في قبضة اسرائيل في ٧ - ٦ - ١٩٦٧ ترك في منزله مجموعتين من الشعر وملحمتين ومجموعة من القصص المؤلفة وقصة مطولة وثلاث مجموعات من القصص المترجمة ومجموعة عن الحركة الوطنية في فلسطين والاردن . بالاضافة الى دراسات ادبية وموضوعات سياسية واجتماعية منوعة ، ومجموعات من البرامج الاذاعية المختلفة .

نموذج من نثره : « في عام ١٨٩٣ تحفزت المانيا لخوض معركة التحرير ، وشعبها الكسيح المهيض الجناح من أثر التمزق والفرقة ، وجراح الاعتداءات الاجنبية ، يتاهب لرفع رأسه في هذا العام بالذات، رفع في المانيا حق ، ووضع حق ، أما الحق الذي رفع فكان بوفاة المصلح الكبير « فيشت » وأما الحق الذي وضع فكان بميلاد « ريشارد فاجنر » الموسيقار العبقري .

وكان « فيشت » قد ترك لـ « فاجنر » في « نداءات للامة الالمانية » رسالة شخصية وضعها على عاتقه مدى الحياة ، وهي العمل من أجل تحويل كبوة الشعب الالماني الى وعي عارم في المجال الذي يحسن الخوض فيه ، سواء أكان ادبا ام فنا أم علما .. ام استشهادا في ساح الوغى الهلوك .

وما كان من « فاجنر » ، تنفيذا لهذه الوصية ، الا ان استطاع ان يبدع لالمانيا والعالم فنا قويا ، ويخلق من الضعف قوة ومن العدم حياة . وكانت تحفته الفريدة « تريستان وايز ولده » تاجا لكفاحه كله ، لا لشيء سوى انها حملت بين جوانحها ، بذرة الثورة .. ثورة المواطن الالماني على ظروفه التعسة ، وثورة الانسان على الاقدار خيرها وشرها !

وكانت هذه الثورة ، القديمة في الحق قدم التراث الفني الاغريقي ، بمثابة حجر الزاوية للمسرح الفاجنري الفني ، والنبراس الوضاء الذي قاد خطى « فاجنر » في طريق حياته . وذات مرة قال ما معناه : « ان الانسان الذي لم يعرف الثورة على ما هو كائن ، منذ نعومة اظفاره ، لا يتعرف البتة الى الجديد ! » .

من هنا .. من هذا القلق .. من هذا التشاؤم .. من هذه العواطف الموارة .. من هذا الايمان بالقوة المطلقة .. اللازمة جميعا للمواطن الالماني في صراعه مع ظروفه السياسية ، واللازمة ايضا للانسان في صراعه مع اقداره .. استطاع الفاشيون ان يتسللوا الى « فاجنر » فيستغلوا تراثه الفني ، وجعلوا من موسيقاه حافزا لاستعراض العضلات ، ولتسلم مقاليد الحكم في نورنمبرغ ويتخذوا من فكرته عن الانسان الحقيقي بوجه عام واجهة لفكرتهم عن المواطن الالماني وحده دون غيره من بني البشر .

وحين تقوضت أركان الفاشية في المانيا ، لم تجد الدولة العمالية التي قامت في شرقي المانيا من بعد ، الا ان تسدل رواق النسيان على ذكرى « فاجنر » ، لا لشيء سوى ان ذكراه أصبحت تشير في أذهان البسطاء ذكريات الفاشية واهوالها .

وهكذا كان « فاجنر » لردح من الزمن جد مفترى عليه .. افترى عليه الفاشيون فمهروا فنه ، وانطلى هذا الافتراء على اعداء الفاشية

هونا ، فقاطعوه وتجاهلوه ! .

غير ان « فاجنر » بقي هو .. هو .. وبقيت طرفته العظيمة « تريستان وايز ولده » تلك الطرفة التي اجترحها عام ١٨٥٩ .

ولا غرو اذا رأينا الناس في المانيا ، يسارعون الان الى رد الاعتبار لفاجنر ، بل الى الكشف عن « فاجنر » جديد .. « فاجنر » الانسان الحقيقي ، الذي طالما استغله اعداء الانسانية .. « فاجنر » الفنان الفذ الذي لم يفصل ابدا بين الفن والحياة .

واندمج « فاجنر » اندماجا كليا في قضايا وطنه وعصره ، وبقي يكافح من اجل تطور الانسانية ، وينافح ابدا عن صفاء التراث الالماني !

« فاجنر » الموسيقار العبقري هو أحد رسل الوعي البشري ، الذي غاص الى أعماق الحياة وأعطى ملامح واضحة لصورة العالم كله ، وكشفت كل نغمة من نغماته النقاب عن الانسان .. الانسان الحقيقي ، الذي يملأ ارجاء العالم ويبني بكده وجده ، وبتكاتفه وتآزره مستقبله الوضاء المنشود » ! .

نموذج من شعره : عالج « عصام » القريض في كل ابوابه ، وتغلب على شعره مسحة اللوعة على بلاده .. فلسطين الفجيع وقلب العالم العربي ، من ويلات وكوارث . وله قصائد جمعت بين الرقة واللوعة ، والفجيعة والدمعة ، ومن قوله :

تقول : علام هجرت النسيب وفيم سلوت حديث الغزل ؟
أجف معين الهوى الثر في قلبك البكر ... أم غاض نبع الامل ؟
أصوح روضك قبل الاوان وزهر الصبابة فيه ذبل ؟
أنسيت ايامك الخاليات وخلفت ذكرى الليالي الأل ؟
أشاخت أحاسيسك الفائرات وأخنى عليها قضاء نزل ؟
وما زلت في عنفوان الشباب وشرخ الصبا العارم المكتمل
أشاب شعورك يا شاعري وحلكة شعرك .. لما تزل
وفل الزمان الخيال الرهيف وعودك ماض مضاء الأسل
واطفات الوهج ريح السنين وعهدي به ثاقب مشتعل !

أجبت .. وفي كبدي حرقة وفي مقلتي دمعة حائره
وغصة حلقي لا تنثني تلجلج القاطني العاثره
يمينا .. بعينيك .. بالثغر .. بالنحر .. بالسحر .. بالطلعة الناضره
أحبك .. لكن فطمت الفؤاد حياء .. عن الفتنة الآسره
فما انا بعد من المدنفين وما مهجتي في الهوى سادره
وكيف تراني أهفو غراما وأشرب من كأسك العاطره
وما في صحابي سوى ساغب يلوك مصائبه القاهره
وآخر ظمآن .. والماء عنه قصي ... واطرافه قاصره
وانى لعيني أن تغمضا وفي موطني أعين ساهره ؟
وكيف أطيق الغطاء الوثير وأختي عن صدرها حاسره ؟
أأصدح بالاغنيات ... وأمي تولول نائحة هادره ؟
أأرقص في مأتم الثاكلات وأضحك في النكبة الغامره ؟
وأستقبل الدمع من اخوتي وصحبي .. بالضحكة الساخره ؟
كأني لم أحب في دراهم وادرج في ارضها الطاهره !
ولم اطعم الخبز من خيرها وأنعم بآلائها الزاخره !
ولم اشرب الماء من راحها وأطرب لانغامها الساحره
كأن ليس بيني وبين بنيها من الاهل والصحب من آصره
أناخت على موطني الحادثات ودارت على مربعي الدائره
فما كان لي أن أهيم غراما وتخطر لي في الهوى خاطره

غدا .. سأناديك .. عند انبلاج الصباح من الافق المظلم
غدا .. سأناجيك .. عند انقشاع الغمائم عر زهر الانجم
غدا .. سألاقيك .. عند انحسار الرماد عن اللهب المضرم
غدا نرقم المجد بالتضحيات سطورا تعز على المرقم
غدا ننفض الغار عن هامنا وننهض كالقدر المبرم
غدا يطلع الفجر .. فجر الاماني بهي السنا ، ضاحك المبسم

غنوج

ومغناجة شقراء خضر عيونها
لها مبسم يفتر عن برعم نضر
تقول بزهو هل تراني جميلة
وهل رف شعر مثل شعري على نحر
فان كنت في عينيك للوحي منهلا
فرنم بحسني واملأ الكأس من خمري
لكم لملمت شمس المغيب غدائري
وفي وهمها اني شعاع لها يجري
فقلت لها يا ليت لي كف مبدع
لانسج من فرعيك قيثارة الشعر

وديع ديب

غدا أحمل الناي يا غادتي وأنفخ في روحه من دمي
أخلد ذكرك في الخافقين وأهتف باسمك ملء فمي
فانك رمز جمال بلادي وعنوان ابداعها الملهم
وحبكما واحد لم يجزأ بقلبي يوما ولم يقسم
ولا غرو ان كنتما عنصرين فريدين في جوهر أعظم

وكيفما حل «عصام» وارتحل يظل ولوعا ببلاده ، لصوقا بتربتها ، مغاليا بذكرياتها ، فخورا ببنائها ونساجها ، وفلاحها ، واسمعه يقول :

دعك مني .. فقد سئمت التغني بروى فتنتي .. واطياف حسني
دعك مني .. فقد سئمت سهولي ووهادي .. وكل دوح وغصن
وسئمت الاحلام .. والوحي والالهام .. بل عفت كل علم وفن
وسئمت الغناء .. في الليلة القمراء .. بل عفت كل صوت مرن
أتراني .. والنار تأكل «روحا» مثل « نيرونها » أداعب لحني !
ما النسيم العليل .. ان كان من اهلي عليل اراه في كل ركن ؟!
ما غناء الطيور ملء جناني وانين الجياع يقرع أذني !
ما عيوني تفيض بالسلسل العذب .. اذا أعشت المصائب عيني ؟
ما دموع الندى الرطيب .. اذا كانت دموع الاسى على كل جفن ؟!
أنا لولا الانسان يحيي مواتي ويداري ضعفي ويدرأ وهني
أنا لولا عقل يدبر أمري ويد برة توطد ركني !
أنا لولا البناء ينحت من صخري صروح التاريخ نحتا وبني !
أنا لولا النساج بين دروبي من خيوط الخلود يغزل ردني !
أنا لولا الحراث طي أديمي يبذر الحب والحياة لاجني !
ما تراني لولا اولئك أغدو ؟ ما تراني من دونهم كنت أعني !
أتراني أثير حسنا بسحري ولو اني اشبهت جنة عدن
ان أهلي أعز عندي وأغلى من ربوعي .. ومن ربيعي الاغن
وصفاء السماء لا يزدهيني كصفاء القلوب من كل ضغن
واخضرار الرياض عندي عن سحر اخضرار الامال ليس بمغن
دعك مني ومن جمالي وانهض زحزح الضيم عن قبيلي وعني !
كن لطفلي الغرير نورا بعينيه ونارا في عزم شيخي المسن
وامض بالمرض الذي تاه في اللج قرونا للشاطيء المطمئن
وقد الموكب الميمم شطر المجد والخير والسلام .. وقدني

عمان ــ الاردن

البدوي الملثم

يوسف الفاخوري

بقلم شكر الله الجر

* * *

شاعر من شعرائنا المغتربين غاب نجمه عن العيون منذ اشهر قلائل تاركا لانجاله الثلاثة ثروة استنفدت جهود حياته . غادر مجدلون قريته المتواضعة في منطقة البقاع وسافر الى البرازيل عام ١٩٢٠ . وهناك بدأ عهد هجرته متجولا تجاريا لبعض معامل النسيج في سان باولو مدينة الدواليب . متنقلا من طائرة الى طائرة ومن ولاية الى ولاية مروجا لبضائع المعمل الذي كان يمثله .

اتقن اللغة البرازيلية واجادها حديثا وكتابة ومن نوادره انه اضطر في بعض اسفاره ان يلقي خطابا في حفل من رجال الادب والثقافة في مدينة بورتو الكري فصفقوا له طويلا واعجبوا بهذا اللبناني يجيد لغتهم كواحد منهم فأقبلوا عليه يسألونه ان يترجم لهم شيئا من الشعر العربي وكانت البلدة يومذاك في حالة من التوتر والنقمة على الزنوج السود لاسباب سياسية وجنسية . فمر بباله بيت المتنبي في كافور :

لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم   الا وفي يده من نتنها عود

فكبروا وهللوا للمعنى الغريب المبتكر . ثم اردفه ببيتين آخرين وهما :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا   لفارقت شيبي موجع الرأس باكيا

ثم قوله :

كفى بجسمي نحولا انني رجل   لولا مخاطبتي اياك لم ترني

فأعجبوا بشاعر يأتي بهذه الصور الجديدة في شعره منذ الف سنة ونيف .

كان الفاخوري رحمه الله ينظم الشعر بينه وبين نفسه ، فلم تكن له الجراة على نشره في الصحف خوفا من النقد انما بعد ان تعرفت اليه وتوثقت بيننا روابط الولاء راح يطلعني على بعض ما لديه من مقاطع شعرية استهواني ما فيها من عذوبة في العاطفة فشجعته وتنبأت له بمستقبل جميل واخترت واحدة من تلك المقاطع لانشرها في مجلتي « الاندلس الجديدة » التي كنت اصدرها عن عاصمة الاتحاد وكانت واسعة الانتشار فكان حيث مشى في داخلية البلاد يجد من يهنئه ويمحضه الاعجاب كشاعر جديد اطل على مسرح الادب في اوساطنا المغتربة فكان ذلك من دواعي اقباله على النظم .

ثم ما لبث ان قاده الحظ الى فتاة ذكية مثقفة فتزوجها هي كريمة المليونير اللبناني الياس زرزور من كبار رجال الصناعة في مدينة سان باولو فكان زواجه منها فاتحة لمستقبل كبير وحياة سعيدة . فولج ابواب الصناعة من بابها الواسع وجنى منها الارباح الطائلة تعززها مكانة اجتماعية مرموقة في كافة الاوساط . وبالرغم من ثروته ما كان ليجد نفسه في يوم من الايام عبدا لماله كما هي الحال عند بعض الاثرياء المتهافتين على الدنيا المشغولين بجمع حطامها والمعرضين عن اعمال البر فيها . يعدون عدوهم على دروب شائكة طويلة ليحشدوا الذهب في خزائنهم على حين عين الموت تراقبهم وتمشي مسمرة في نعالهم . وفي هؤلاء يقول الفاخوري :

من زاده الله مالا   وعاش عبد المال
كحامل الموت يعدو   على الدروب الطوال
والموت يسخر منه   مسمرا بالنعال

واليك من شعره في اوائل نظمه وهو في طفرة الصبا وعنفوانه تخطب وده الكواعب اللواعب لجمال في شخصيته واناقة في مظهره :

احبك ملء فؤادي الفتي   وملء الوجود وملء الشباب
وحسبي منك هوى صادق   افتت معه صخور الصعاب

وهذا صحيح ، فكم من المحبين الذين ذللوا الصعاب وفتتوا صخورها فبلغوا قمة النجاح وذلك بفضل الحب وجذوته المتاججة في صدورهم . ولنصغ اليه الان بعد خمس وعشرين سنة . بعد ان صعد في جبال الحياة وهبط سفوحها ووديانها وادار منجله في الشوك والزهر من حقولها يقول :

لم يبق من امسنا المستحب   سوى ذكريات على الخاطر
نمر سراعا مرور السحاب   ونركض خلف هوى عابر

لقد صور الشاعر حياته كلها في هذين البيتين بل صور الحياة نفسها تمر مرور السحاب بما فيها من هوى عابر يترك ذكرياته في الخاطر .

وكأني به قد ادرك بتلك الحاسة الخفية في نفسه التي تلتقط الاحداث قبل وصولنا اليها فراح يقول :

تعالي نجمع بقايا الشباب   فقد لوحت شمسنا للغروب
تكاد سفينتنا في الضباب   تضل عن الشط عند المغيب

فهذه السفينة المغلفة بالضباب وهذا المغيب الكئيب الذي سيضلها عن الشاطىء كلها احاسيس وندب شجي خفي يلامس القلوب فيفعمها حسرة على شاعر اندفع بكل قواه العقلية والجسدية في مضامير الصناعة والتجارة ومسؤولياتها الضخام في بلد كمدينة سان باولو لا يفكر سكانها في الموت حتى اذا صحا الى نفسه فيها وجد ان شمس شبابه على نوافذ المغيب وان سفينته اوشكت ان تضل طريقها الى الشاطىء في ضباب الغروب فيصيح صيحة اليأس :

تعالي نجمع بقايا الشباب   فقد لوحت شمسنا للغروب

انه لموجع حقا ان نرى الشاعر بعد مسافة من الزمن يدور على بيادر الحياة وحقولها ليلتقط من وراء مناجلها

ضياع

أكذا عمري يمضي دون سعد   وأنا أعبد أيامي ... للحدي
كل أعوامي مضت كالحة   ما أرتني غير آلام وكد
ورمتني ... مزقا ... حائرة   بين جزر عبث الريح ومد
وأنا في الدهر فلك تائه   يتهادى بين امواج التحدي ..

أين أطياف حنان رنقت   بين آفاقي ولم ترس بساحي
وعلى أشلاء نفسي أبدا   أقطع الدرب ، وحيدا ، بجراحي
آه ، ما أقسى زمان غادر   فجره ، عندي ليلي الوشاح
وكذا (أيوب) من قبل غفا   بين أنياب ضنى جد وقاح

ان عمري يتنزى من أسى   مثل شلو بين أنياب سباع
آه ، قد لف الدجى ساريتي   وطوى الموج بقايا من شراعي
وشجوني ، صخرة ثابتة   وأنا قد عدت (سيزيف) الضياع
رقة الحس ، وما أفجعها ...!   قد رمتني بين أشباح الصراع
وبأعماقي هتاف ساخر ...   أنت تحيا، في ضياع .. في ضياع

بغداد   **واجد شريد**

الحاصدة نفايات ايامه ولياليه .

ولا يعجب القارىء الكريم من هذه الغمائم الكئيبة في سماء الشاعر الفاخوري وقد تدفق الذهب جداول بين يديه وله من بيئته واسرته كل ما يشتهي من صفاء العيش ولذلك اقول واصر على القول انه عبثا ان تطلب من الشاعر المغترب لا سيما ابن لبنان شعرا مهللا ضاحكا أغنيا كان ام فقيرا ، فهو ابدا مشدود بحبل الحنين الى ماضيه تبطن نفسه الكآبة ومهما قيل لك غير ذلك فلا تصدق . فالمغترب اللبناني شاعرا كان ام غير شاعر تراه ابدا متلفتا الى ما ورائه من ذكريات في أرض نشأته ومطلع طفولته وصباه . لم تضعف الغربة من حنينه الى وطنه وحبه له ولم تبدل مصاعب الجهاد عنده من ايمانه به ولا مهرجانات الشعوب وامجادها انسته حب قريته ومباهج ايام الصبا فيها ولكن لا حيلة له فكلما طالت ايامه طال سجنه وتضاعفت القيود التي تقيده .

ومن زفرات الفاخوري الحزينة الملتهبة الابيات التالية :

يا هاجرا لبنان   في ريق الصبا
حملتها احزان   ناءت بها الربى
تسعى وراء المال   في القلب البعيد
فتخسر الرسمال   وتخلف الوعود
من يقطف الكروم   من يعصر العنب
من يحرس التخوم   في زحمة النوب
من يزرع الحنطه   في تربنا الخير
وينشر الغبطة   في افقنا النير
من يقرع الناقوس   في ساعة الخطر
ويحفظ الناموس   من سطوة القدر
ان غبت عن لبنان   عن جنة الخلود
في اخر الزمان   هل يا ترى تعود

اجل لقد عاد الشاعر الى وطنه ولكن بعد اربعين سنة مليئة بالشوق والحنين فكانت لياليه في لبنان اعيادا ومسرات بين اهله ومريديه وكانت لي معه ذكريات محببة عن ليالي اغترابنا في البرازيل . وشاء ان يطبع ديوانه « نوى » في لبنان واراد أن تكون مقدمة الديوان من يراعتي فكان له ما اراد ، وما كاد يعود الى البرازيل حتى اشتد عليه الداء الذي كان يحمله منذ سنوات في احشائه فقضى الى ربه وهو يردد بمرارة والم :

ما تنفع القصور   وكثرة الغنى
وظلمة القبور   تضمنا هنا

جبيل ـ لبنان   **شكر الله الجر**

كانت « عواشه » تنافسها قبل ان يتوفاها الله ، وحتى قبل ان تموت، ما كانت تقدر على خطف زبائنها ، بنات البنات ، وامهات الامهات ، كلهن يلحفن : « لقد تهرأ راس عباءتي القديمة ، اترينها ؟ اعملي معروفا واكمليها في ليلتين او ثلاث » وهي توعد مبتسمة ، وهن يأتين اليها متوسلات ، خاطت لهن عباءات بالمئات والابرة طيعة وخيط (الابريسم) معوان وابنة الجارة قادمة لتأخذ عباءة امها وهي تعتب:

ـ امي تقول اما انتهيت من خياطة عباءتها للان .

ـ فقط ساعتين ، ساعتين وتكون جاهزة .

ثالث مرة تنسحب فيها الفتاة من العتبة ، لتعود الحاجة « نفيسة » الى سلة العباءات . كانت تضعهن في سلة خيزران ، قماشا على قماش ، كلهن ينتظرن يديها ، ابرتين ساحرتين ، تنسجان من ذاك القماش المعتم حواشي رقيقة تسكب القوام في كتلة السواد . عرفت كيف تطرز نجوما صغيرة سودا اصغر من ان تراها عين انسان غشيم ولا تخفى على من تعود رؤية الكمال وليس الشغل هينا ولا كل من ادعى الخياطة كان خياطا للعباءات . من يتجاسر على مسك قماشها وهي لولب من الحرير ، تتلوى في الذراع وتراوغ ما بين الاصابع ، حية ملساء ، ليس غير الحاجة نفيسة من يجبر القماش البارد الاسود على التماسك فتلتم العباءة وتستكين خاضعة في حضنها ، ذائبة منقادة ، لتنفذ ابرتها فيها غرزات ناعمة مضبوطة تشكل فيها قواما وراسا وذراعا . ما كانت تبخل في الاعتناء بهن ، كلهن عزيزات ، وكل عباءة خاطتها ، ابنة لها تحظى بالادب والدلال . وعلى ركبتيها هاتين كانت تضطجع رؤوس العباءات فتخيط وتخيط حتى يكل متناها ويبدأ فانوسها بالاضمحلال . ان العباءات تنمو عندها فتتكاثر صباح مساء .

رحمة على الاموات ، كلهم ماتوا، لقد ورثت هذه المهنة عن والدتها حين تخلت عن اللعب ومشاغل الصبيات ، وكثيرا ما دعا لها والدها بالستر طالما سترت بنات الناس . وقد سترت الجميع وحشمت رؤوسا وسيقانا ، ولم تقصر كما لم تقصر والدتها من قبل، كانتا تتقابلان على العباءة الواحدة ، وكل منهما ماسكة بطرف منها وساعة تنتهي تكون والدتها على وشك الانتهاء . كانت تشمت منها فهي اسرع انجازا واخف انامل وابرة ، ووالدتها تبتسم ابتسامة الاعتراف مطوية العباءة الجديدة

العبـــاءة

بقلم سميرة المانع

بتمهل مملسة اياها بافتتان ، وحين ابتدات تمسح نقط الماء عن عينها اليمنى المضرورة كانت تمسحها بردنها او بطرف القماش حتى اشتركت عينها الثانية في نفض الماء ودب فيهما الاعلال ظلت تستعين بنفيسة كي تلضم الابرة العمياء ، وثقب الابرة بخيل لا يرحم . لقد تشكت في يوم ما والماء جاثم على عينيها الاثنتين مستنقع اشهب لا يروم الفكاك ، تزحزحه كي يسقط قطرات قطرات لتعود وتتجمع ثانية امام ثقوب عينيها طينا ورمادا . وحين قال الطبيب انه الماء ولا جدوى من علاج عيون داؤها الماء عرفتا الماء الاسود مدادا محبرة تزداد نيلا حتى تخيط النفس ببعض من خيوط العباءة السود الكثار .

قصة

وستأتي ابنة الجارة عما قليل ولا زال في عباءة امها سانان يريدان البرم الناعم اللحوح فهما حواشي الردنين وردنا العباءة مهمان والا ستكون كعباءة « منيرة » حين خاطتها لها خياطة في « الاعظمية » قبل شهرين والمسكينة « منيرة » جاهلة تنسى اللبس وذوق النساء، لقد جاءت بالعباءة ولم تلبسها الا مرة واحدة ، كان في تلك المرة في عباءة « منيرة » اذنان منتصبتان ، تدعي خياطة « الاعظمية » انهما ردنان ! كل شيء في العباءة مهم والحاجة نفيسة ذائعة الصيت بين الخياطات ، تأتي النسوة لها من كل فج في بغداد ، سمعتها مهابة ، ولم تفتقد زبونة بسبب عيب منها ، عيب تعج به الخياطات القديمات والجديدات مهما تعددن واختلقن على ابوابهن القابا واسماء فهن لن يطمحن بالوصول الى براعتها في التطريز وقص القماش . كانت تصنع من فضلات القماش المتروكة مناديل للراس موشية بالالوان وتخيط صداري صغيرة وطرابيش للاطفال . كل شيء باعها فيه طويل ولم تترك فضلة الا ويدها مبروكة ونظرها صائب ، ولم يخنها خائن . ولا زالت الحاجة نفيسة تواصل البرم والابرة زواغة كي تثبت في الثغرة خيطا اسود في المكان الاسود ، لا ضوء الا من مجسات الحاجة تقود الابرة الضالة حيث يجب ان تكون وحتى تبدو الغرزات قطيعا من النمال كما يتعشش الضوء الابيض ويتبقع عندها كلما رفعت رأسها بين آن وآن .

ابنة الجارة قادمة ، ولم تكمل الا ردنا واحدا والردن الآخر يريد

على الشاطىء

★

البحــــر يبسم خلفها وامامهــا ... والموج قبلهـــا وضم قوامهـــا
تلـك الصبيـة كالشعاع بهاؤهـا ... تخفي وتبدي عينها احلامها ...
أحلام عشرين مــن الاعوام قـد ... عبرت..وددتلو ان لياعوامها..
والبحر كم فيـه تمرى وجهها ... من بعدما اتخذت به حمامها ...
والمـوج داعبها بكـل لطافـة ... ومشى يقهقه ضاحكا .. قدامها
فترى العيون كهالة مـن حولها ... عطشى تحدق كي تبل اوامها ..
فاذا مشتفيالشط يضحكرمله ... فرحا ويلثم رملـه اقدامها ...
في كل نقلة خطوة طبعت لنــا ... قلبا.. بقلب الشط لاح امامها..

زحلة ـ لبنان

رياض معلوف

الوقت وقطرتان من الملح في عينيها ويدمع الدخان . كانت تنهي العباءة في ثـــلاث ساعات وكانت العباءة واسعة اكبر منهـــا بكثير ، طالمـا اختبئت بـــين طياتهـــا مسرورة لتضحك امها . كانت تكركر خافية راسها الصغير لتخرج عينا واحـدة امعانا في الاحتيال ، وهي تعرف من خاط عباءة المرأة فـي محلتهم وان بدت رقعة كالكيس فـي الشارع لا معنى لها سوداء . كانت تعرفهـا من استدارة ذيلهـا ونهضة الصدر وعناق الردنين تعرف مـــن صـاغ القماش كالخاتم وليس هناك مـن يعيب على خياطتهم وبيت الخياطـة مشهور والبـــاب مفتوح للرائحات القادمات .

عليها ان تسرع فابنة الجارة فـي الطريق ، لـــن ترضى بفقد زبونة واحدة من اللواتي كن يلهجن بالثناء، والنسوة ، ومـــا اكثرهن ، كلهن معجبات بها . لم يتجاهلن عتبتهـا والعباءات في السلة بازدياد . نفذة قصيرة تردفها نفـذة طويلة والخط مائل والردن اليمين اقصر مـن ردن الشمال . الوقت محدود والحاجـة نفيسة تحرث والابرة تطارد لتنهـي عباءة الجارة وهـي عندها منـذ اسبوعين ، وعدتها ان تنتهي منهـا باربعة ايـــام . مـــا كانت تفـرغ لتمشيط شعرها ، من يدري بـــه وهو تحت الفوطة مصان مستور . قبل يومين جاءتهـــا عروس كانت تعطيها دينارا اجرة لهـــا على ان تنتهي مـــن خياطة عباءتها يـــوم الخميس فليلـة الجمعة الزفاف . بلعت الحاجة نفيسة ريقها اذ لـــم تلبس العروس عباءتها في الزفاف . ابرتها طائشة والخيـــط يتخبط ، جعلته طويلا كي تنهي مقدارا مـــن الخياطة وسرعان مـــا انتهى مدده ، ابرتان بل ثلاث راقصات مستهينات بها وبالخيط الملضوم وثقب الابـرة ضائع لقد فرحت حين قرع الباب ، انها ابنة الجارة ، وهو وقتها ها قد مضت ساعتان .

كانت الفتاة واثقة فرضت الخيط على ابـــرة الحاجة نفيسة فرضـــا وجلست على طرف التخت منتظرة. ما كان الوقت يتسع كـــي تطـرق الحاجة حديثها حول الزمان الـــذي ستلبس فيه الفتاة العباءة . وهـل انبها اخوها او ابوها او ابن عمها من ان سنها اربعة عشر وهـــو موسم العباءة كما ترتأي . اسئلـــة كانت الحاجة تمسهـــا دومـــا وتصيب مرمى ، غير انها اليوم في واد آخر تدور فيـــه وتلف حـــول العباءة ، تدخل من ردن وتخرج مـــن ذيل ، تريد ان تنتهي منهـــا معجلة حين اكتشفت ان ردن اليسار اطول مـــن اليمين . عليهـــا ان تعيـــد القياس وتفتق البرم والنجوم السود ، عليها ان تعيد الساعتين وترجـع للوراء ، للبقع الشهب ودمـــوع الدخـــان وخياطة الحاجة نفيسة لا عيب فيها ولن يعاب عليها فـــي يوم مـــا . تململت ابنة الجارة :

ـ أولم تنته ؟!

ـ لا لقد انتهيت منها .

لندن

سميرة المانع

وصف مولوي

★

قلب له من صبوة يشب   ووساوس كالنار تلتهب
ما ينطوي من لاعج سبب   الا وينشر دونه سبب
عصفت وساوسه بمعتلج   تهذي غواربه وتصطخب
وتزاحمت في صدره غصص   تهمي بمضطرم وتنسكب
شابت ذؤابته وما وهنت   في حلبة قدم له تثب
يجري بها ويلف منفلتا   كطريدة تنأى وتقترب
ويدور والاشواق تنشره   بيد وتطويه فيحتجب
دفعا وجذبا مثل سارية   رعناء دون الريح تضطرب

★ ★ ★

طالت له وسمت قلنسوة   لم يطفها في حالق رحب
قامت كعرف الديك وانتصبت   ولها الى نجم السهى نسب
طهرت صحيفتها وعوضها   عن بهرج ما زين الادب
لم يعر في حرمانها طنب   يوما ولم يهتك لها طنب
كملت على الاملاك تحسبها   تاجا وليس يزينها ذهب
من فقرها كانت مهابتها   فالليث يضوى وهو مرتهب
وكأن جبته التي نشرت   ليل حيال الافق منتصب
غامت مسالكها بمعتكر   تطغى غياهبه وتأتشب
ران الظلام بكلكل ويد   من دونها واقام يرتقب
وتشابهت فيها مدارجها   كالليل كل دروبه حجب

★ ★ ★

أعطى الهوى ما ليس يتهم   للحب ما يعطي وما يهب
مد اليمين كسائل وجرى   في حلبة سمارها عجب
نشوان من شغف يساوره   كصريع كأس حفها الحبب
ويدور مثل فراشة لمحت   نارا فهز جناحها طرب
ما زال يفتل غير متئذ   والشوق هدار ومصطخب
فكأنه كرة يطاح بها   في حلبة حينا وتجتذب
دورانه عجب يثير شجا   ما دون سمار ويختلب
يجري فلا تنفك زائغة   عين توسن جفنها وصب
فتخاله نسرا جرى صعدا   في عاصف والليل مختضب
وحنينه في كل جارحة   ناي على الايام ينتحب
ما كان في دورانه ريب   هيهات ليس مع الهوى ريب

دمشق   عدنان مردم بك

التضمين في الشعر الحديث

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

يقولون : عبثا نحيي مصطلحات بلاغية قديمة (١) ، لان تجربة الشعر الحديث شيء جديد ، سواء في تمثل الشعراء اليوم لها ، أو في أساليبهم فيها .. ولكن كيف يتناسون ان هذه التجربة الشعرية الجديدة ، وما وراءها من تمثل جديد ، او ما ظهرت فيه من اساليب جديدة ، لا بد ان تخضع لمبضع البلاغة ، والنقد ، وبالتالي لا بد ان تربط بأرثنا البلاغي ، والنقدي ..

يقولون : هذه المصطلحات البلاغية القديمة جامدة ، وبالتالي عاجزة عن انصاف التجربة الشعرية الحديثة ، بله نعتها ، وهي تجربة مضمون .. وذلك غير صحيح ابدا ، ان المصطلحات البلاغية القديمة لا تزال كلها الحياة ، والابداع ، ويمكنها ان تنصف كل مضمون حديث ، وان تنعته .. والدليل ان اجمل الصور البلاغية التي تشيع اليوم في الشعر الحديث ، مثل (التضمين) ، على اختلاف أشكاله (٢) ، وعلى الخصوص (التلميح) ، العادي منه ، او الرمزي ، لا يمكن تمييزها اليوم الا بواسطة هذه المصطلحات البلاغية المتجددة .

واذا ذكرنا ان التضمين ، باشكاله ، ومنها التلميح من صور التحسين البديعية ، والبلاغيون القدماء يميلون الى اعتبارها تحسين كلام لفظيا ، ودرسها المتأخرون منهم مع السرقات الشعرية (٣) وتقوم على ذكر شيء من كلام الغير ، أو التلميح لبعض الاحداث ، او القصص .. حق لنا ان نتساءل عن هذا المضمون الحديث الذي يتحدث عنه المحدثون من الشعراء والنقاد ، وعن قيمته ..

هذه التلميحات الشعرية التي تشيع اليوم في الشعر الحر ، بعضها تلميح الى احداث ، وقصص ، وأساطير ، وبعضها الآخر سرد جديد ، او لنقل فهم جديد لها ، وتعاطف جديد معها .. ولكن ليس استعمال اسم البطل ، او المدينة في حادثة ، أو أسطورة ، او التلميح للحادثة نفسها ، أو الاسطورة نفسها ، يوجد بالضرورة الرمز ، والرمزية ..

ومن هنا وجب الحذر من كثير من تحليلات النقاد والدارسين اليوم ، الذين يتحدثون عن هذه التلميحات المختلفة ، او يعتبرونها (رمزية) ، ويعتبرون شخوصها رموزا ، في حين كثير منها عادي .. ولذلك معناه ، بعبارة اخرى ، انه لا بد من تحديد الالفاظ ، والمصطلحات اليوم ، تحديدا بلاغيا ، ونقديا ، بتعريفها ، وشرحها من فوق كل منهج في نقد ، أو بحث ، أو كل تمثل في تجربة .. والرمز صورة حسية ، أي الفضلة ، المادية المحسوسة الاصل ، المتبقية في النفس بعيد غياب منبهاتها ، وهو بلاغيا مجاز ، مجاز تشبيه ، واستعارة ، قرينته المشابهة ، صرح فيه بهذه الصورة الحسية ، رمزا للمعنوي الذي يكنيه ، ويوحيه (٤) ..

والتضمين ، وخاصة التلميح في الشعر الحديث ذكر أسماء اعلام ، من ابطال ، ومدن ، أو سرد حوادث ، وقصص ، وأساطير .. وهذا الذكر ليس بالضرورة رمزيا ، بل كثير منه اليوم عادي ، كالتلميحات القديمة في الشعر القديم (٥) ، ووحده التلميح الذي يقوم على الصورة الحسية التي تكني بالمشابهة عن المعنوي هو التلميح الرمزي .. تلك تعريفات بلاغية ، نقدية طال ما تدارسناها اليوم ، ولا بد من التعريف اليوم ، ومعظمها لنا ، والآن الى الشواهد ..

١ ــ من أجود الامثلة الحديثة على التضمين ، على اختلاف اشكاله ، قصيدة : ــ رؤيا فوكاي ، وفوكاي اسم راهب في البعثة اليسوعية في اليابان ، فقد عقله من هول ما شاهده غداة ضرب مدينة هيروشيما ، وقد ضمن « بدر شاكر السياب » منها أسطورة كونفاي ابنة ملك الصين العذراء التي تقدم قربانا في عملية صهر الحديد بالذهب ، والفضة ، والنحاس ، قال :

ما زال ناقوس أبيك يقلق السماء
بأفجع الرثاء
هياي ، كونفاي ، كونفاي ..
فيفزع الصفار في الدروب
وتخفق القلوب
وتقلق الدور ببكين وشنغهاي
من رجع كونفاي ، كونفاي ..

هل هذا التلميح في مجموعه ، أو في اجزائه ، تلميح رمزي ؟!

في الحقيقة ، هذه الصور الحسية ، الناقوس ، الرثاء ، رجع الصدى ، القلوب ، بكين ، شنغهاي .. صور مشبعة بالفعل بالمعنى ، والايحاء ، واللذين يلقنهما سياق التعبير كله ، ومن هذا التلميح أميل الى ان يكون انسانيا عاما ، وبالتالي رمزيا معنويا من هذه الناحية نفسها ، اي توفر المعنوي في سياق الحسي .. ولولا ذلك لكانت القصة قصة ذكرى ، او قصة عبرة ..

ومثل هذا التلميح الذي اكتسب بأنسانيته ، ومعنويته السمة الرمزية ، تضمين الادبية مستويل قصة البابيون التي تربي طفلا يتيما في قاع البحر ، وقد ضمن بدر شاكر السياب أشعارها في نفس القصيدة ، وهذا النوع من التضمين اسمه استعانة ، قال :

ما زال طائر الحديد يزرع السماء
وفي قرارة المحيط يعقد الكرى

أصوات طفلك اليتيم حيث لا غناء
الا صراخ البابيون : زادك الثرى
فأزحف على الاربع .. فالحضيض والعلاء
سيان ، والحياة كالفناء ..

ان تربية القردة بابيون للطفل اليتيم الذي قتلت الطائرات أهله ، وذويه ، ثم مخاطبتها أياه خوفا عليه من الطائرات نفسها ، بل يأسا من الحياة ، والاحياء ، بأن زاده الثرى ، وغير ذلك لا شك توحي بعمومية انسانية ، وبالتالي بالرمز ، خاصة ان مرتكز الصور تعاطف مع التجربة ..

ومن الاستعانة في القصيدة ، تضمين بدر شاكر السياب ، قول لوركا :

أهم بالرحيل في غرناطة الفجر ؟! .
فاخضرت الرياح ، والغدير ، والقمر ؟! .

هنا استعان الشاعر السياب أيضا بأشعار للغير ، ليحسن بها شعره ، ولذلك سموا هذا النوع استعانة ..

١ ـ يقول « عبد الوهاب البياتي » في صبية خاطئة ، لا تعود الى حبيبها :

ستعودين الي ..
لتقودي في أعاصير الرماد
والدياميس شراع السندباد ،
ستعودين مع الطوفان للفلك حمامه
تحملين غصن زيتون من الارض علامه
ستظلين الى يوم القيامه
وعلى قبر المحبين غمامه
تمطرين وتموتين ندامه ..

الصور ، والاستعارات ، والكنايات في هذا المثال ، كثير منها ذو أيحاء نفسي ، ذهني ، ولكن ليست كلها رمزية ، او ينطبق عليها تعريف الرمز .. انها مجموعة ومضات جامحة ، لا رابطة بينها حقا ، حتى انها هي نفسها كصور ، واستعارات ، وكنايات كثير منها بمضمون محير قلق ، بعضه فارغ من المرتكز .

فمثلا عودة الصبية لقيادة شراع سندباد في الدياميس ، وأعاصير الرماد ، ليست رمزا ، انها مجرد تقرير .. حتى شراع سندباد في الدياميس ، وأعاصير الرماد مجرد كناية متخيلة ، وعادية ، وكذلك كونها ستظل الى يوم القيامة ، وعلى قبر المحبين غمامة ، تمطر ، وتموت ندامه ، أيضا مجرد كناية وصفية ، وحال هذه (الغمامة) ، وان كانت توحي بالمعنوي المجرب ، الا انه معنوي مشخص ، مجسد ، ولذلك ظل التعبير مجرد كناية ..

في حين يشتم في قول الشاعر البياتي في عودة الصبية مع الطوفان الى الفلك حمامة تحمل غصن زيتون من الارض علامة ، الرمز والرمزية .. لان الرصد هنا شمل حالة انسانية عامة ، جردها برموز شهيرة ، وربطها بتجربة معينة ، وهذا الزخم المعنوي ، العاطفي يبرر في قوله الرمزية .. يقول عبد الوهاب البياتي أثر ذلك :

ستعودين بلا جارية ، هاربة من أسر هارون الرشيد
ومع الميلاد والموت شرارات شموس من جليد
ستعودين الى الارض التي تخضر عودا بعد عود
لتضيئي الحجر الساقط في بئر الوجود
لتموتي من جديد ..
لتعودي عشبة صفراء في حقل الورود
عندليبا في الجليد
ستعودين .. **ولكن لن تعودي ..**

الحال هنا شبيهة بها في الصور والاستعارات والكنايات السابقة ، ان صورة صبية هاربة بلا جارية من الحريم ، او شرارات شموس من جليد مع الميلاد والموت ، هي بالاحرى ايضا كنايات عادية لتقرير عادي ، الاولى اجتماعية التلميح ، والثانية فارغة من المرتكز ، ومحيرة .

اما عودة الصبية الى الارض المخضوضرة ، لاضاءة الحجر الساقط في الوجود ، فترشيح رمزي ، لانه ذو مرتكز من المعنوي المجرب ، والانساني .. بينما عودتها للموت من جديد : مجرد تقرير ، او عودتها عشبة صفراء في حقل ورود ، او عندليبا في الجليد ، فتخييل عادي لتقرير عادي .

٣ ـ يقول «مكسيم فرج» في صلاة رجل فلسطين :

حضارة الانسان مثل الشمس لا تموت
قد حاول التتار ذات يوم خنقها
فاحترقوا في سرها العظيم
وانتصرت حضارة الانسان
عرق المناضلين ، زهرة الوجود
من اجل هذا يطمئن قلبي الشريد
على الذي اودعته في بيت لحم
فالجسد الذي ينبض بالحياة
يطارد الجرثومة التي تقتحمه
والكون حي
وها أنا أصغي لقلبه السعيد

---

(١) راجع في عدد حزيران (يونيو) ١٩٦٨ من الاديب الغراء مقالة التجربة في صور البيان لعدنان بن ذريل . (٢) ـ انواع التضمين هي الاقتباس والاستعانة والابداع والرمز والحل والتلميح ، وسندرسها في عدد قادم .. وقد ذكرنا في العدد السابق الذكر ان (التلميح) نوع من التضمين يكون بالاشارة الى قصة ، او حادثة . (٣) ـ اعتبرها (ابن المعتز) من محاسن الكلام ، في حين اعتبر (الخطيب القزويني) القول فيها متصلا بالقول في السرقات الشعرية . (٤) ـ حددنا في مناسبات سابقة عدة الرمز بلاغيا ، ونقديا ، وهذا التعريف خلاصة من هذه التحديدات ، وتنطبق على المفهوم الحديث للرمز في الفن والادب (٥) ـ من اشهر الامثلة القديمة على التلميح قول الشاعر :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى   ارق واصفى منك في ساعة الطرب

اشار فيها الى قصة الاستجارة في حرب البسوس بعمرو ، ثم نكته بها ..

السنديانة

فلقـي الصخر بالجذور الفوالي ... واهزئي بالعصور والاقيال
وتعالي بالجـو ما شئت صعدا ... وانشري الطيب في ربوع الجبال
فحفيف الاوراق نفـح زكـي ... طيب الضوع منعش الآمال
أنـت للطيـر ملجـأ ومقيـل ... تستظل الاغصان وقت الزوال
قـد طويت الايام قدما ولكـن ... باخضرار الاوراق فـوق التلال

وأنزويت الظـل الظليـل وقلبـي ... خافق نافث سموم « الدوالي »
راح بـي الفكـر للوراء يغادي ... كل ركب علـى ظهور البغـال
يتـراءى فوارسـا ورجـالا ... حطوا احمالهم وثقـل الرحال
تسمعين الانـام قـولا بليغـا : ... ان بالصبـر قـوة للنضـال
علميني الصبـر الجميـل فاني ... متعب الفكـر مثقـل الاحوال

أيهـا الشامخ المرجي دوامـا ... ومسيغ « الكذب ملـح الرجال »
هل خبرت الايام وهـي عظات ... مـلء سمع الازمان والاجيال
أوتسمو الـى العلاء ارتفاعـا ... في مطاوي السحاب بعد الكلال
أنـت للناس عبـرة ومثال ... فمقام الخداع تحت الرمال
ذكـره غابـر وكبـره ظـل ... يطوى طي السجل ، مثل الخيال

فلق الصخر يـا شباب بلادي ... واكسر القيد واخفض المتعالـي
فسبيل السلام قـول جلـي ... قدسوا الحب فهـو كـل الكمال

عيسى ميخائيل سابا

في صوتك المضيء يا الهنا الودود ..

التضمين هنا في التلميح الى محاولة (التتار) ذات يوم خنق حضارة الانسان ، ثم احتراقهم ، وانتصـار الحضارة .. التلميح عادي ، انه مجرد سرد للواقعة ، او مجرد التذكير بها ..

وهذا النوع من التلميح العادي شائع اليوم ايضا ، شيوع التلميحات الرمزية ، الواضحة منها او المعقدة .. بقية صور البيان في الاشعار عادية ، لتقرير عادي .

٤ ــ يقول «عبدالوهاب البياتي» في الحمل الكاذب :

بابل لم تبعث ولم يظهر على أسوارها المبشر الانسان
ولم يدمرها ولم يغسل خطايا أهلها الطوفان
ولم يقم من قبره عبر الفرات سارق النيران
فالعقم والصيف الذي لا ينتهي والصمت والتراب
والحزن والطاعون
طعام هذي المدن المنفوخة البطون
والبشر الفانون فيها ككلاب الصيد
يحترقون تحت شمس الصيف
ما بين مهزوم وبين راسف في القيد ..

التلميح في هذه الابيات صار الى تلميح رمـزي ، ولكنه تلميح متداخل ، ومعقد الى حد كبير ، بابل المدينة، بل الحضارة ، والاناسي ، لم تبعث ، ولم تبشر بالبعث ، الا انها لم تدمر ، ولم يغسل الطوفان خطايا اهلها ..

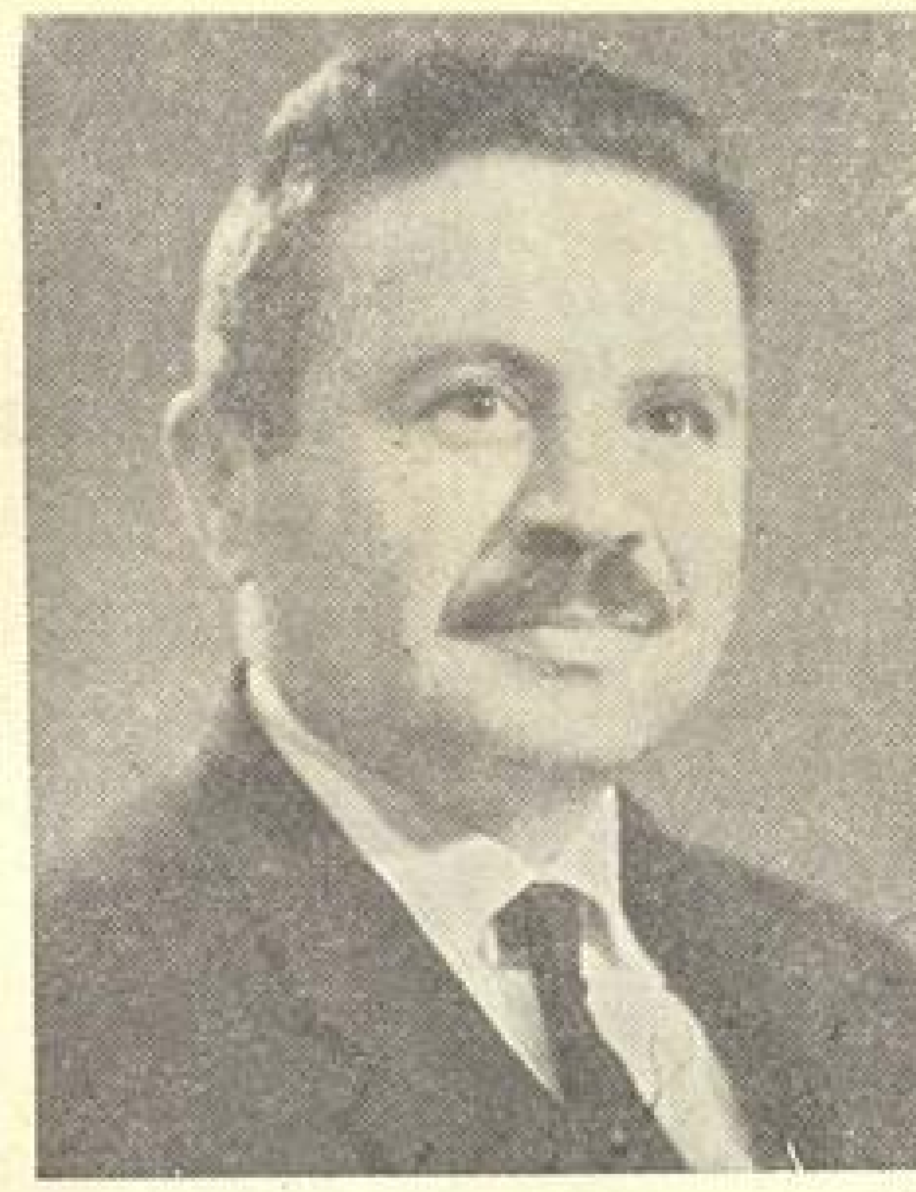
ها هنا بالاحرى مجموعة تلميحات رمزية، متشابكة متضادة ايضا .. البعث ، الاستمرار ، استمرار الخطايا .. ثم قيام سارق النيران عبر الفرات ليبدع ، ويخلق ، ان لم يكن ليبشر ، او ينذر ، كل ذلك تلميحات رمزيـة تتساوق في زخم محموم ..

انه العقم حقا ، بل الانهزامية ، وبالفعل فقد تابـع الشاعر البياتي قصيده بحديث تقريري ، وصور بيـان عادية ، لمجرد الوصف ..

فالعقم والصيف الذي لا ينتهي والصمت والتراب
والحزن والطاعون
طعام هذي المدن المنفوخة البطون
والبشر الفانون فيها ككلاب الصيد
يحترقون تحت شمس الصيف
ما بين مهزوم ، وبين راسف في القيد ..

وفي الاعداد القادمة سنتابع هذا الجرد ..

دمشق — عدنان بن ذريل



يوسف عبد المسيح ثـروة

مسرح تيرنيس راتيغان

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

تيرنيس راتيفان ، كاتب انكليزي وهب حياته للكتابة عـن المسرح ، ووقف كل جهوده له لكي يكون هذا المسرح مرآة للواقع بصدق وشجاعة ونبل ، انه ـ على الضد من الكتاب الميتافيزيقيين ـ لم يحلق في الاجواء بعيدا عن ارضية البشر ، ولم يتغلغل في الذات الانفرادية ، الـذات المنعزلة عن المجتمع . بل هو ـ انطلاقا من مفهومه للحياة ـ قصر همـه على تصوير الظواهر الاجتماعية واسبابها ، من غير فصل بين ظاهـرة واخرى ، ومن غير تحذلق او تانق او افتعال .. فجاء اسلوبه سمحـا بسيطا ، لطيف المآخذ ، حلو المـذاق ، مشوب العاطفة ، متدفـق العبارة ، واضح الاشارة ، مهضوما ، سهلا ، بلا اسفاف او تنطع . والفضل ـ في كل ذلك ـ يعود الى نفسية الكاتب التي تمتاز بالاصالة والاستيعاب والعمق . وهو ـ في كل كتاباته ـ يتطرق الى مشاكـل المجتمع وما يعتمل في داخل هذا المجتمع من ادواء وعلل ، فيعرضهـا بقوة وعنف ، ان اقتضت الحال ذلك وبرفق ولين عندما تتطلب الضرورة هذا الرفق وهذا اللين .. فقلمه اقرب ما يكون الى الريشة وهي تخطط وترسم وتضع الالوان هنا وهنا في اللوحة ، لتتكامل الصورة الناطقة ، في قسماتها الحية ونبضاتها المتململة الساعية الى الحركة والحياة .. راتيفان يتامل الاشياء والموضوعات من الخارج فيعرضها كما هـي ، ويتامل الشخوص من الخارج والداخل فيصورها كما هي . في صلفها وصفاقتها وتبجحها وانحطاطها ، وفي سموها ورقتهـا وشفافيتهـا وانسانيتها .. ولكن لا ينبغي مطلقا ان يغيب عنا ان هذا التصوير هو ابعد ما يكون من الفوتوغرافية المبتذلة المعروفة ، التـي عرفت بهـا المدرسة الطبيعية في فترة معينة من فترات حياتها في المسرح الغربـي في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي . ذلك بان الفوتوغرافية تهتم اشد الاهتمام بالحرف بدلا من الاهتمام بالروح ، وفي ذلك قصر للكيان الروحي على الموروثات البيولوجيـة وعوامـل البيئة الطبيعيـة والاهتمام جزئيا بالبيئة الاجتماعية التي هي البناء العلوي المتفاعل مع الاساس الاقتصادي ، الذي هو في المدى البعيد محرك الحياة فـي اعلى صورها الفكرية او اسفل مظاهرها البربرية في الصراع اليومي من اجل لقمة الخبر المعجون بالعرق والدم والتعب الميـت ، وفـي الصراع الدموي الوحشي بين القطعان البشرية من اجل زيادة كنـوز قوارين المال ، وسدنة العجل الذهبي من حراس الليل وشرط النهار ، والقائمين ليل نهار على تثبيت اركان النظام والقانون وسيادة العـدل بين مختلف صنوف ابناء آدم .

تيرنيس راتيفان يعرف المجتمع الانساني بعامة والمجتمع الانكليزي بخاصة ومعرفته هذه تؤهله لان يتحدث بقلب مفتوح عـن كـل كبيرة وصغيرة في هذا المجتمع ، وهو ـ حين يصدق نفسه ـ يصدق القارىء والمشاهد معا ، لا يخبيء عنه شيئا مهما يكـن ذلك الشيء من الاهمية او القداسة او الرهبة ، انه يعرض ما يريد عرضه من غير محاباة او مداجاة او غرور او نفاق ، فالصراحة ديدنه والانفتاح على الغير شانه ، والامانة ظله الذي لا يفارقه ولا هو بمستطيع مفارقته . ومع اهميـة مسرح راتيفان ودوره الكبير في تبصير الناس في انكلترا او الاقبال المنقطع النظير عليه ، فان راتيفان لم يترجم الى العربية الا مسرحية واحدة (ترجمة براوننغ) قام بها الدكتور كمال قاسم نادر ، وهو جهد ـ لم نشعر باهميته يوم اداه الدكتور نادر مشكورا ، ولكننا وقد عدنا اليه وجدناه عملا يليق براتيفان ، لا من حيث الاخراج واناقته ، ولكن من حيث امانة النقل التي هي الصفة الرئيسية من صفات مسرح راتيفان ومن الميزات التي لا يمكن الا ان يتاثر بها قارىء راتيفان هي رقتـه اللطيفة غاية اللطف كانها النسمة البليلة تتهادى في ليل ساج من ليالي نيسان بين ازهار البرتقال . وهذه الرقة تجدها منسجمة غير مبعثرة ولا مشتتة في اجزاء هذه المسرحية او تلك . انما تجدها حيث ينبغي لها ان تكون في الذروة من العمل المسرحي لتكون جاذبيتها اقـوى وسيطرتها الروحية اوثق وتاثيرها اعمـق وهي تتوازى مع السلوك الانساني ـ في منعطفاته وطفراته وتقلباته من غير ان يكون لهذا التوازي غير عمل واحد وهو المحافظة على الفعل المسرحي من الانزلاق الى هاوية الانفعالية العاطفية التي لا ضابط لها ..

مسرحية : سليل ونسلو

ومن اهم المسرحيـات التي كتبهـا راتيفـان ((سليل ونسلو)) و ((فرنسيون بلا دموع)) و ((مسار اللهـب)) و ((ترجمة براوننغ)) ولاحتواء الثانية على بعض الجمل الفرنسية التي نجهلها تركنا دراستها مجبرين ، وسائر المسرحيات الاخرى تتحدث عن مؤلفها كما لا تتحدث اية مسرحيات . ففيها نجد الميزات التي ذكرناها واضحة للعيان . و ((سليل ونسلو)) تبحث عـن قضية ارتشير ـ شي المشهورة .. ومؤداها (ان احد الطلبة الصغار في الكلية الملكية البحرية في اوزبورن طرد من الكلية بتهمة سرقة ولكنه بريء من هذه التهمة بعد ان اصبحت هذه القضية مثار جدل عنيف بين عامة الناس وفضيحة من فضائح البرلمان الانكليزي) يمثل ارثر ونسلو الاب المسن المتداعي البطل الحق في المسرحية ويمثل روني ونسلو البراءة بكامل معانيها وغريس ونسلو ، الام ، ربة البيت التي لا تريد ان يحدث في البيت ما يعكر صفاءه ، وتمثل كاترين ونسلو التضحية باجمل معانيها واطهرها بل واقدسهـا .. اما المحامي السير روبرت مورتن فيمثل التعلق بالحق العام باصرار غريب على رجل عرف عنه انه لا يهتم كثيرا بما يسمو من معان فـي حرفة طالما وجدت ، في مجتمع الربح ، كي تكون بقرة حلوبا تدر الربح والشهرة . جو المسرحية العام جو محافظ كل المحافظة . ارثر ونسلو رب الاسرة ، رجل له قيمته واعتباره ومرتبته في المجتمع ، وهو اب يقدر نفسه حق قدرها بين افراد اسرته بما يمتاز به من اتزان ورزانـة .. (حدث المسرحية يجري في دار ارثر ونسلو في كينسنكتن ، لندن ويمتد الى سنتين قبل حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨) .

ينفتح الفصل الاول على مشهد يجمع بين من يجمع بين جون ويدزستون وكاترين ونسلو ، وجون هو خطيب كاترين الاثير الذي يعلن مدى تشرفه واعتزازه بقبولها للمشاركة في مستقبل حياته وانه عازم ان يكون زوجا مخلصا امينا وان يبقيها في المرتبة التي تعودت عليها .. وفيما هما فيه ، اذ بروني ينظر بارتياب من خلل فجوة البواب ، مظهر وسخ موحل يبدو عليه الحزن ،وبدلته يقطر منها الماء . كاترين تنشده عندما تراه فتصرخ باسمه ، وتسارع لتخبر اباها بوصول اخيها قبل الموعد بيومين ، ولكن روني يناشدها الا تفعل ذلك وهو يرتجف هلعا وبردا ، ويتحدث دكي اخو روني فيقول : « هل طردوك ؟ » فيوحي برأسه موافقا فيستطرد اخوه ، « حظ سيء ، ولماذا ؟ » فيجيب روني: « لم افعلها » ويؤكد دكي قول اخيه بقوله : « لا ، طبعا لم تفعلها » وبمثل هذه المجابهة يواجه امه حين تأتي مع اخته لاستجلاء الحال . ويحاول دكي ان يبعد الرجل العجوز عن الصعود الى الطابق الاعلى .. لانه لا يريد ان يكون على بعد الف ميل من الانفجار المتوقع ويتدخل الخطيب جون في الامور ويتساءل عن تهمة روني فتجيبه خطيبته بانه متهم بسرقة بعض النقود فيثير ذلك فيه آهة ذات مغزى . غير ان كاترين تعرف ما كابده اخوها وهو في ذلك المكان ولمدة عشرة ايام ، وحيدا ، لا احد يحميه ولا يداريه ويفرج عن كربه وهو يعرف ماذا سيواجه في النهاية ، كاترين تعرض ذلك بحماسة الاخت المتألمة من الم اخيها ، وخطيبها يرد عليها ببرود ، بان الامر طبيعي جدا ، فلا بد لها ان تتذكر انه ليس في المدرسة بل هو في (الخدمة) ويدخل الاب الغرفة ، بعد ان يكون قد عرف بعودة روني ، ويتساءل غاضبا . « هل الولد مريض جدا ؟ لماذا يجب ان ابقى في ظلام مثل هذا ؟ من المؤكد ان لي الحق ان اعرف » وينزعج الاب من ولده ويثار ولكن الام تخبره انه يجب الا ينسى ان الولد طفل . ويقترب الاب من ابنه ويقول له . « اين كنت ؟ » فيجيبه . « كنت في الحديقة » ويقول الاب . « لماذا ؟ » فيرد الابن بارتباك « كنت مختبئا » فيقول الاب . مختبئا مني ؟ فيومىء روني برأسه موافقا . فيستطرد الاب بقوله . « الا تتذكر مرة بانك وعدتني اذا ما وقعت في مازق من أي نوع ان تأتي الي قبل اي انسان .. » فيجيبه الابن بالايجاب .. ويشعر الاب بالخوف الذي يشع منه ويقول . « هل انت خائف كل هذا الخوف مني ؟ » فلا يجيب روني عن هذا السؤال ويقدم الاب الرسالة الى ولده ويبلغه فحواها ويسأله ان كان ما جاء فيها هو الصدق ، ويبلغه بانه لا يريد منه غير الصدق لان الكذب بينهما لا يمكن ان يستخفي بأي حال من الاحوال .. فهما صريحان مع بعضهما - في كل شيء - ولذلك ، فان الابن بعد ان وجد ملاذا في صدر ابيه ، اعلمه انه لم يفعل ما عزى اليه ، وانه بريء من التهمة التي وجهت اليه ، ويحدق الاب في عيني ولده ويسأله . (هل سرقت هذا ؟ .. فيرد الابن من غير تردد . كلا ، يا ابي ، لم افعل ذلك) .

وتستمر الضجة تتعالى في الصحافة ويتدخل كثير من الناس في القضية بعضهم يعرض مساعيه الحميدة للتوصل الى حل للقضية وبعضهم يزيدها ارباكا ، وكل ذلك على حساب اعصاب العائلة ، لا سيما الام والاب ويتوافد الناس زرافات ووحدانا على زيارة دار ونسلو بحثا وراء الاخبار الجديدة ، واذا من جملة الزوار واحدة تدعى مس بارنيس ، مندوبة احدى الصحف ، انها تتساءل عن كل شيء له علاقة بالولد ، فاذا تبين لها انه التحق باحدى المدارس القريبة من لندن ، وانه آت الى لندن لكي يحقق معه المحامي الشهير السير روبرت مورتن ، تجفل المس بارنيس من هذا الخبر ، كيف يمكن لهذه المسألة الحقيرة ان تثير السير مورتن شخصيا ؟ ولكن ارثر ، لا يعجب من شيء عجبه مما تقوله . قضية صغيرة ، انها ليست قضية صغيرة ، ومهما يكن من امر ، فالمال يمكن ان يجتذب السر مورتن الى اي قضية، ولكن هذه القضية ليست كأي من القضايا . الاب لا يرى فيما تهونه المس بارنيس الا تهوينا من كرامته وشخصيته ومرتبته الاجتماعية ، بل شرفه بالذات .. صحيح ان التحقيق جرى مرة ثانية مع الصبي ، وقد وجد سارقا ومزورا ، ولكن اي تحقيق هذا ؟ يقول المستر آرثر بهذا الصدد « .. ولدي ، طفل في الرابعة عشرة لم يحظ بدفاع او محامين او اصدقاء » ومع ذلك تحولت التهمة الى جريمة مرة ثانية كما تحولت في المرة الاولى ، غير ان ارثر ، وقد سمع بكلمة العار تنطق بها مس بارنيس لم ير بدا من القول وقد لسع لسعة مخيفة . « .. سأظل احارب هذا الظلم الفظيع بكل سلاح ووسيلة في حوزتي » الرجل يجد نفسه محاطا بجدار من الظلم سميك ، فلا بصيص من امل ، ولا ضوء ولا كوة تنبيء بأمل وصول ضوء . الظلام مطبق على انكلترا متمثلة في دار ونسلو ، الاب جاد كل الجد في بعثرة ما يملك وما لا يملك ، في سبيل احقاق الحق ، وارجاع اعتبار ولده ، كل شيء يهون الا الشرف .

لقد افلت الامر من يده . لقد ديس شرفه بما انثلم من شرف ابنه. كيف يمكنه ان يهجع او ينام او تأخذه غفوة من نوم حقيقي ، وهو يعرف جيد المعرفة ان ابنه بريء ولكنه في رأي الاميرالية والدولةوالملكية مجرم بحق الجميع ، سارق ، ثابتة عليه التهمة ، لا يحيد عنها ولا يميد ، لان الادلة كلها تشير اليه صارخة مولولة ؟ وتحاول كاترين ابنة ارثر ان تقنع اباها ان السير مورتن ليس بالانسان الذي يمكن ان يقف بجانب الحق اذ كان جانب الباطل ارفع شأنا في المال والجاه والسلطان ، ان كاترين لا تؤمن - انطلاقا من غريزتها - بتوفر ابسط مقومات المحاماة في السر مورتن ، من حيث كون المحاماة دفاعا عن حق هضيم وانتصارا لقضية عادلة ، ولكن كل هذه المقومات متوفرة فيه واكثر ، اذا كان ذلك يعني الحاسة الدرامية والقدرة البلاغية ، والاجادة التمثيلية ، وعلى ذلك ، ففي رأي كاترين ان السير مورتن لن يتوكل في الدفاع عن الصبي ، غريزتها تقول بذلك وعقل ونسلو يقول غير ذلك .. وينتصر عقل ارثر ونسلو .. ويأتي السر مورتن الى الدار ويلتقي بالصبي ويجري التحقيق معه فاذا بالولد يتعثر لا يدري كيف يجيب عن الاسئلة المنهالة عليه ، ويصدم الجميع ، عندما يعلن السر مورتن ان الصبي المتهم سارق ، لص ومزور ، ويصيبهم انشداه يرين على نفوسهم جميعا ، ثقيلا مقيتا ، مرعبا مخيفا .. وبعد فترة صمت قاسية موجعة ، يعود الجميع الى رشدهم حين يعلن السير مورتن انه سيتوكل بالدفاع عن الصبي لقناعته التامة بانه بريء .

وتثار القضية في البرلمان ، وتأخذ اطوارا حادة ، بسبب حساسية موضوعها ، واصرار الاب على الدفاع عن شرف ابنه . ويكون في المجلس مناقشة حادة بين الذين يدافعون عن تصرف الاميرالية وبين الذين يدافعون عن براءة الصبي . ويستمر الاب في الاطلاع على سير الامور - في الصحف التي استغلت المسألة استغلالا تجاريا معروفا .. الاب منهمك في القراءة وعينه تعثر على العبارة التي شرفها الزمن - « دعوا الحق يتحقق » وفي الوقت نفسه ينظر الى جملة اخرى مناقضة « .. لا شك في انه في بعض القضايا ، من الضروري تضحية الحقوق الفردية من اجل الصالح العام » ويهز الاب رأسه مستنكرا في قرارة نفسه القول الثاني لان معنى ذلك ان الصالح العام يتناقض مع الحق ، ولو كان هذا الحق فرديا ، خاصا بفرد معين ، وهذه مسألة لا يمكن ان يدركها رجل مستقيم مثله ، كيف يمكن ان يكون الحق بجانبه ولا يكون بجانب الصالح العام في الوقت نفسه ؟ ومع برود الام ، فانها وقد وصلتها الانباء تترى ، تحركت هي الاخرى واخذت الحمية تحرك شيئا من وجودها ، وهذا ما جعلها تقول . « .. المسألة مثيرة كل الاثارة ، هذا حق ، لكنها لن تعيد وجودها ، وهذا ما جعلها تقول . « .. المسألة مثيرة كل الاثارة ، هذا حق ، لكنها لن تعيد الينا ما خسرناه » .. وتستمر في القول في وجه زوجها . « .. لا استطيع الا ان اصلي الى الله حتى تعرف ما انت فاعله .. »

هذا ، في الوقت الذي يتحرك روني فيه في منامه . الا ان الاب

وقد تجرع مرارة الاهانة حتى الثمالة لا يرى معنى للخسارة المادية ازاء شرفه المتمرغ في الوحل ، ولذا فهو يقول ردا على زوجته . « انا اعرف بالضبط ما انا فاعل، يا غريس . سأنشر براءة ابني قدام العالم، وبغية ذلك لست مستعدا ان ازن التكاليف » . لقد حدث ظلم وليس له الا ان يعيد الحق الى نصابه وما من تضحية في العالم لن يتحملها كي يضمن ذلك .. هذا ، في حين ان الام لا ترى اي معنى في كل ما يفعله زوجها وبخاصة والولد في مدرسة اخرى يتقدم من صف الى صف ، وكان مسألة اوزبورن لم تكن .. لا شك في ان الاب هو الذي اثار هذه الضجة فجعل الرائح والغادي يتحدث عنها . الام تريد ان تكون واقعية ترى الامور كما هي في انظار الناس ، لا كما هي في الحقيقة ، وما معنى الحقيقة والناس كلهم ، الملايين منهم يتحدثون عن المسألة وكأنها امر واقع . ويرفض الاب هذا المنطق الظاهري الذرائعي، ويصر بعنف وشدة واباء على رأيه الخاص في الحقيقة كما هي لا كما يحلو للناس الاعتقاد بها . انها لا يمكن ان تكون رأيا يراه الناس فيتصورونه حقا ، في حين هو باطل ليس له من الحق اي نصيب . وتمس الام الموضوع من ناحية اخرى ، ناحية مستقبل الصبي نفسه فتقول . « .. انك تتحدث عن التضحية بكل شيء من اجله ، ولكنه لن يشكرك متى ما شب عن الطوق حتى اذا قدمت حياتك لتنشر براءته كما تدعي » .

وفي هذا المنطق البارد ما فيه من رجاحة فكر وصواب اجتهاد . لا بد لارثر اذن ان يحطم نفسه ويحطمها ومعهما الاسرة بأسرها .. فلماذا كل ذلك ؟ الاب يعرف المنحدر الذي اليه يهوون ، ولكنه يعرف ايضا ما يعنيه جهاده النبيل ، في سبيل قضية جليلة القدر ، سامية ، رفيعة الهدف ، لماذا ؟ يجيب ارثر بكل هدوء . « غريس ، من اجل العدل » وتعلق غريس على هذا الجواب فتقول . « هذا يبدو نبيلا كل النبل . هل انت متأكد انه حق . هل انت متأكد انه ليس الا كبرياء اعتيادية ، وتوكيد للذات وعناد همجي لا غير » لقد اوصلت الام تعليلاتها الى نهايتها المنطقية المذهلة . اين هي الكرامة اذن ؟ الكرامة لم تعد الا كلمة مزوقة لها معان مختلفة ، على حسب الظروف والاحوال . ماذا يعني الشرف غير ما يتداوله الناس في عملة سوقها رائج ومردودها رابح . وقديما قيل : الشرف شهرة .. وتلطخ سمعة اسرة ونسلو ، ويسكت الاب على لطخة العار التي ستبقى محفورة في جبين الاسرة والى الابد، ويكون الامر كما تريد الام فلا قال ولا قيل وتنتهي الحال بالصمت الثقيل ..

ارثر ونسلو رجل ، انسان شريف لا يمثل نفسه ولا اسرته ولا جيله ، بل هو يمثل ابناء الشعب الامناء على شرفهم ، الاوفياء لتراثهم ، الذين لا يقدرون الشرف بالمال ، ولذلك فهم يمنعون المال عن ان يغزو دوحة شرفهم الفيناء وكأنه ارجال الجراد الزحاف ، وتتدخل كاترين اخت روني ، في موضوع شخصية السير مورتن ، فتقول عنه . « انه سمكة ، متحجر القلب ، بارد الدم ، متعجرف ، مهذار بسخرية» وفي هذه الاثناء تعلن فايوليت ، الخادم ، وصول السر مورتن ، وما ان يستقر المقام بالضيف ، حتى يعلن الاب عن تراجعه ، فيبهت السر مورتن ويقول : « .. من الجنون ان تستسلم الان » فمما عدا مما بدا ؟ اين هو ذلك العناد المقدس ، النار المطهرة التي كانت تتوهج في قلب آرثر ؟ . لقد انهار ذلك العناد وانطفأت تلك النار ، لان مستقبل كاترين اصبح مهددا ، بعد تلك الرسالة التي بعث بها ابو خطيبها . الرسالة الملعونة التي تحاول سحب الارض من تحت قدمي خطيبها . السر مورتن يذهب الى ان الاستسلام جنون وهذا ما يعترف به آرثر عندما يقول . « مجنون ؟ عقلي اصبح موضع تساؤل هذه الليلة لاستمراري في التعلق بالقضية الى هذا الحد البعيد » وهنا يشتد غضب السر مورتن فيصر على المضي في المعركة مهما تكن محتويات الرسالة . اما الاب فلا يرى بدا من ان يفضي بمكنونات نفسه فيقول.

« لقد قدمت تضحيات كثيرة من اجل هذه القضية . بعضها لم يكن لي الحق بتقديمه ، ومع ذلك فلم اتوان من تقديمه . لكن ثمة حدا وقد وصلت هذا الحد » .

وتعرض كاترين مجمل محتويات الرسالة على السر مورتن ، وما فيها من تهديد لقطع معونة العقيد ورترستون عن ابنه جون ، خطيب كاترين، فيما اذا استمرت القضية في مجالها المقرر لها . الموقف واضح اذن ، اما ان يتخلى جون عن معونة والده ، باستمرار القضية ، ويعيش الاثنان عيشة ضنكا ، او ينسحب جون من عقد الخطوبة ، وبهذا تنهار آمالها في مستقبل حياة رغيدة .. احتمالات شتى وكلها ما عدا سحب القضية ، خطر يهدد مستقبل كاترين ابنة ونسلو ، فماذا هي فاعلة وقد اطبق طبق العبودية على رقبتها اللدنة ؟ وقبل ان تفعل شيئا لا بد لها ان نأخذ رأي خطيبها ، فماذا يقول ؟ ها هوذا يحدثها بقوله « اذا قرر والدك الاستمرار بالقضية فاخشى ، اشد ما اخشى ان ينفذ تهديده » (يعني اباه) . وهذه بادرة مخيفة تنبىء ببداية تراجع الخطيب لا محالة ، وفي ذلك الضربة الماحقة التي ستقضي على مستقبلها قضاء مبرما ، وقد يكون اخوها سرق ما سرق وقد يكون بريئا ، ولكنها تهتم بشيء واحد مهم هو « لا بد للناس من معرفة تجاهل دائرة حكومية لحق اساسي من حقوق الانسان ، ولا بد من اجبار تلك الدائرة على الاعتراف بذلك الحق » وتسبر كاترين غور خطيبها فاذا هذا الفور شاطىء ضحل الماء ضوضاح ، ومن ثم فعليها الاستمرار في القضية ، ولهذا عندما تأخذ المبادرة من ابيها نراها تحث السير مورتن على المضي فيما هو ماض فيه من غير هوادة . ويرن جرس التلفون ، واذا بالمتكلم ينبىء السر روبرت بـ « ان قضية ونسلو ضد الملك قد حلت الان في ساحة القضاء » وعندما يكون الامر قد وصل الى هذا الحد يطالب السر روبرت كاترين بالتعليمات فتقول له بصوت جلي : « سير روبرت ، هل انت بحاجة الى تعليماتي ؟ اليست التعليمات في العريضة المقدمة ، الا تقول . دع الحق يتحقق ؟ » .

ولما يرى جون ما حل به من هوان ونبذ ، يأخذ طريقه الى الخارج والغضب واضح في محياه . وتتدخل الحكومة بكل ما تملك من وسائل الاغراء والتهديد ، فيقدم الى السر مورتن منصب رئيس القضاء ، فيرفض ذلك لا لشيء الا من اجل الاستمرار في قضية ونسلو ضد الملك ، وهذا الخبر هو ما ينقله صديق العائلة ديزموند كاري ، ويضيف اليه قوله . « غريبة هي طرائف الناس ، اليست كذلك ؟ » وديزموند هذا رجل ميسور الحال ولكنه كبير السن ، وهو بطبيعة الحال يستغل صداقته للعائلة لكي يتقرب من كاترين بعد ان حدث ما حدث بينها وبين جون .. كاترين ترى هذا الاحتمال وجيها ولذا تعرضه على والدها بقولها : « .. اما ان اتزوج من ديزموند واحظى بحياة مستقرة مريحة .. او افضي بقية حياتي ، معتمدة على جنيهين في الاسبوع ، في خدمة قضية لا امل فيها » ويرفض الاب ذلك الاحتمال رفضا باتا ويأسف اشد ما يكون الاسف على ما اجترحه بحق ابنته ، غير ان ابنته سليلة ونسلو ، تأبى ان ترى رأيه وتقول ببطولة نادرة . « ابتاه ، لا تأسف . كلانا عارف ما كنا نفعل . » ومع ذلك يقول الاب . « كان المنطق الجهنمي دائما يرافق خصومنا ، أليس كذلك ؟ » وتؤيده ابنته كل التأييد ، واذن فالعناد الهمجي والرفض الاناني للاعتراف بالهزيمة، هذا هو ـ كما تعتقد الام ـ هو الدافع من وراء القضية كلها . غير ان الاب يرفض هذا الرأي بشدة ويقول : « لكن ربما العناد الوحشي ليس شيئا رديئا الى هذا الحد في وجه الظلم » كيف تكون النفس الانسانية سامية ، تعلو درجات ودرجات على حيوانيتها ، ان لم تكن قد امتلأت بهذه الروح الوحشية حقا والانسانية حقا ، الروح التي لا تعرف الهوادي والتي لا تتراجع ، ولو اعادت الكرة من جديد ومن اول خطوة، وهذا ما نراه في ارق ما يكون التعبير سلاسة ، واعمق ما يكون دلالة ، واجمل ما يكون معنى في كلمات كاترين . (ابتاه اذا رجعت ، وكان

لك الخيار ـ فهل يكون خيارك مختلفا) فيجيبها « ربمــا » فتقــول كاترين . « لا اظن ذلك » فيرد عليها : « وانا كذلك لا اظن » .

وتتحدث فيوليت عن المشهد العاصف، مشهد الانتصار الكبير الذي احرزه السير مورتن فاذا بالدموع تتهادى على وجهه من غير ان تكـون له القدرة على البكاء بسبب الضجة العارمة التي اثارها الجمهور فـي قاعة المحكمة ، كأن به مسا من الجنون ، وهو الجنون المطبق . ويقرأ السر مورتن قرار المدعي العام بالنيابة عن الاميرالية قدام الاب ونصه. « اعترف ان رونالد ارثر ونسلو لم يكتب اسمه على قسيمة البريد ولم يأخذ تلك القسيمة ليصرفها ، ولم يصرفها ، وتبعا لذلك فقد برىء من التهمة التي وجهت اليه قبل سنتين » وبعد اتمام قراءة القرار يقدمه السر مورتن الى ارثر ، فما يكون من الاخير الا ان يقول . « من الصعب ان اجد الكلمات التي اتحدث بها اليك » فيرد عليه السر روبرت قائلا : « سيدي ، اتوسل اليك الا تتعب نفسك في البحث عنها » ويحاول ارثر القيام من مقعده المتحرك ويصرخ مطالبا بعكازته ويقول : « انا سعيد لاني عشت كل هذا العمر الطويل لارى العدل وقد عاد الى ولدي » هـذا العدل لم يكن نصرا لولده حسب فهذا شيء تافه . ولم يكن نصرا لـه فذلك شيء تافه ايضا وانما هذا النصر هو نصر الناس جميعا ، وهـذا ما يحمله على القول . « هذا النصر ليس نصرا لي . انما الشعب هو الذي انتصر ، كما سينتصر دائما على الطغيان » .

مسرحية : مسار اللهب

وننتقل الى « مسار اللهب » والمسرحية تتناول حياة الطياريـن واسرهم في فندق « فاكون » في ملتشتر اثناء الحرب العالمية الثانية ومن ابطالها الملازم الطيار غراهام « تيدي » وزوجته باتريشيا غراهام والممثل المشهور بيتر كايل والطيار البولندي الكونت سكريشيفينزكي (دوريس) وقائد السرب سوانسون .. جو المسرحية محموم مضطرب، غارق في القلق والرعب والموت ، زوجات الطيارين والنوتية تتقاذفهن امواج متلاطمة من الانتظار والترقب والفرح بالوصول والترح للانطلاق، ولا سيما في الليل الذي يضفي على المبنى ظلالا من الاشباح تتحرك هنا وهناك بين ازيز الطائرات الهابطة وهزيم القنابل المتساقطة . وصاحبة الفندق هي السيدة اوكس التي تعمل بنشاط غريب لتلبية طلبـات النزلاء . ويحل بيتر كايل ضيفا على الفندق ولكن صاحبته لا تجد له مكانا فيه غير انه يصر على البقاء مهما يكن من امر ، لانه يبحث عـن ساحرته التي رمته وفرت بنفسها ، وكيف يفارق الفندق وفتاته فيه . ويلتقي الاثنان . الغزال الشرود والصياد العنود ، بعد فراق سنة مرة. فمن تكون هذه الساحرة ؟ انها باتريشيا زوجـة غراهام الطيار .. باتريشيا سرعان ما تتعرف بمطاردها لكنها لا تأبه به . انها الان زوجة الطيار الذي يتعرض في كل يوم ، بل في كل ساعة من اليوم الى الموت حرقا .. ها هو يقص عليهم جميعا احدى انطلاقاته الجهنمية فيقول : « .. كان ذلك في الليل .. وكنا نحوم على الساحل الهولندي ، واذ بي فجاة اسمع صوت (العريف) دستي يناديني . كانت ايم. اي ١١٥ تطاردنا فاذا بها تغط في الماء بعد ان تناهبتها النيران » . ويصـف دستي المشهد بتفصيل حيث يقول : « .. رأيتها (يقصد الطائـرة) بوضوح كما اراكم . فتح (يقصد مدفعي الطائرة) النار من مدفعه على بعد خمسمئة قدم ، رأيتم يكبرون طوال الوقت ، فضغطت على الزناد واذا بلهب احمر عظيم يسطع فجاة . وهوت (الطائرة) متقلبة ، ملتوية. الى البحر » . وتحين ساعة الخلوة بين المطارد والمطارد ، ويتسـاءل بيتر عما اذا كانت باتريشيا قد اخبرت زوجها بحقيقة علاقاتها السابقة فتقول ردا على هذا التساؤل : « لاتكن ثقيلا . بيت (١) . فلو اخبرته عن كل شيء بصددك . توجب علي ان اعترف باني كنت لا ازال احبـك حين تزوجته . وهذا شيء لم اكن لاعترف به حتى بيني وبين نفسي ».

ها ان فجوة سنة من الفراق تفصل بينهما فماذا كانت نتيجة هذه التجربة ؟ يقول بيتر في هذا الشان : « كنت اصطنع تجربة كبيرة ، يا عزيزتي . هي محاولة العيش بدونك . غير انها لم تكن ناجحـة » . واذن فخيبته في تجربته لا بد لها ان تدفعه ليكون غيورا كل الغيرة من الزوج المحظوظ ، ويسأل بيتر ساحرته عما تشعر به حيال زوجهـا فتقول بصراحة غريبة : « انا لا اشعر بأي شيء حياله » . فاذا كان ما بينهما ود صاف وعلاقة حميمة وحب عنيف ، فلماذا اذن هجرته وخلفته رهين الوحدة ، طريح الياس ؟ باتريشيا تجيب عن هذا السؤال بقولها، « لقد فررت لانني ببساطة لم اعد احتمل عدم الزواج منك » ويعـود تيدي ليكون مع الاثنين ويتحدث ببساطة ولطف وسذاجة عن الممثلين فيقول : « الممثلون اناس لطيفون . انهم ليسوا يبدون كأنهم هـم انفسهم . الشيء الذي يهمهم هو نوع تاثيرهم في الناس الاخرين » . اي انهم بكلمة اخرى كما تقول باتريشيا : « انهم يمثلون » « انهم لا يقولون شيئا ولا يفعلون فعلا مابصورة طبيعية » . هكذا يقول تيـدي وفي هذا القول ما فيه من حق لا يناله شيء من الوهم ، ولكن اليس ما يبدو لنا واقعا لا تمثيلا ، هو نفسه تمثيل ؟ تيدي يتوسع فـي التفكير ، يريد ان يرى الامور نظرة ابعد واعمق واشمل ، ولهذا يقول: « عزيزتي ، هاانذا افكر . لقد تكلمنا عن الممثلين وهم يمثلون ومـا شابه ذلك . ولكن نحن ايضا نمثل بطريقة من الطرق . على الاقل انـا اعرف انني افعل ذلك » وتتساءل عما يقصده بذلك القول ، فيبـادر بانه لا يقصد موقفه منها، بل هو يعني مجمل موقفه من اصحابه الطيارين والنوتية . وبعد ان ينهي كلامه تدير باتريشيا راسها بعيدا عنه فيلاحظ تلك الحركة ويقول : « اصبحت مضجرا لك » غير ان باتريشيا ، وقد مسحت دموعها تعود الى سر المهنة فتقول : « لا شيء ، انا ممثلة » .

ولكنه لا يقتنع بقولها ويرى الضجر الـذي يحيط بها فيقول : « اعتقد ان هذه الحفرة قد نالت من نفسك ، فترددت فيما تردت فيه» وتسرع باتريشيا الى مخدعها تتناوح في نفسها هموم وتتلبد غيوم ... وترتقي باتريشيا السلم وحيدة لان عملا مهما ينتظر زوجها على مـا افاد سوانسون ، ويخلو الجو للاخير لكي يتحدث الى غراهام بعنـف فيقول : « ما هي الفكرة من زواجك بفتاة لامعة ؟ انها جميلة وعلى قدر وافر من الجمال بالقياس الى فردمن اضرابك » فيجيبه تيدي : « كنت استطيع ان الزوج غاربو (٢) نفسها لو حاولت . ثم ماذا جرى ، يـا غلوريا ؟ » فيرد عليه صاحبه : « كما تعرف » لا بد اذن من انطلاقـة جديدة تبدأ في الساعة العاشرةمساء باشتراك اربع طائرات بضمنهـا طائرة تيدي .. اما العريف دستي الذي لم يكد يرى وجه زوجته حتى يتسلل اليه امر الانطلاق فيؤخذ على يديه ويقول مخاطبا زوجتـه : « مودي ، شيء يسير من الحظ السيء . ينبغي لي ان اتركك هـذه الليلة » فتجيبه ، « عندي ليلة واحدة ، دين ، لا تذهب هذه الليلة » ماذا يفعل دستي والامر ليس امره ، فالاوامر تاتي من مركز القيـادة ، وتريد زوجته ان تتدخل في الاوامر ولكن عبثا ما تفعل . ان عليه واجبا لا بد من القيام به مهما تكن العقبات ومهما تكن الليلة حلـوة مـع زوجته المشتاقة اليه التي قطعت كل تلك الطريق الطويلة كي تحظـى بتلك الليلة . وبعد ان يبت دستي فيما لا مفر من البت فيه يطمئـن زوجته ويقول : « .. سأعود نحو الرابعة او الخامسة وسيكون لنـا بعض الوقت معا » .

وتخضع مود للواقع المر ، وتقول : « حاول ان تعود سريعا » فيطيب خاطرها قائلا : « سأعود قبل ان تعرفي بذهابي . ان عندي احسن طيار في انكلترا وساخبره ان يسرع في اداء المهمة » . وفيما مودي علـى السلم تلتفت الى تيدي وتقول ، « اعتن به ، يا سيدي ولا تدعـه يصطنع الحيل والخدع كالتي كان يتحدث عنها كفتح النار على الاضواء الكشافـة » .

(١) بيت تصغير تحبيب لاسم بيتر ٠ (٢) هي الممثلة السويدية المشهورة غريتا غاربو .

امانة هم الصغار

لا تفرشوا الطريق بالنسرين
ولا تعلقوا على النوافذ الزرقاء
للغد ضحكة ترن في مسالك السماء .
لا تزرعوا الورود في حدائق الاهواء
أو تملأوا العيون
بما يمر من مواكب الفتون
أو تقلعوا مع المسافرين
الى بلاد الحب والغرام
لتحفروا في جذرها سخرية السلام .
فدارنا غارقة بالطين
وحولها المستنقعات
يلفها ليل شتاء عاصف حزين
وأهلنـا المشردون
أدمت رياح صرصر وجوههم ،
وانهارت الحياة
بهم وأطبق المصير
من كل جانب عليهم ، كغول
ينذرهم بالموت والضياع ،
في بلاقع السنين .
يا اخوتي في الوطن الكبير
لا بد أن نضمخ الدماء
بنخوة تهب من « ذي قار »
من شمس « حطين » ومن غبار
« حامي حمى حلب »
وقاهري التتار
اما اردنا ان يكون في زماننا عرب !!
اليوم يا رفاق
تساقطت أقنعة الذئاب
وامتلأ الافق
بالبـوم والغربان
وكل شيء حولنا يصيح :
« أمانة هم الصغار
والارض والشرق وزرقة البحار
والشوق والتذكار »

قنيطرة ـ سورية رضوان عقل

ويلتقي الاثنان مرة اخرى ، باتريشا وبيتر وتتحدث باتريشيا عن نجوم السينما بل عن النجمة السينمائية بالذات فتقول : « النجمة السينمائية المثقفة الخجول المحتشمة المسيطرة على نفسها ؟ هذهالنجمة غير معقولة . بيت . الناس يرونها على حقيقتها ، ويفهمون بالبداهة ان ما يبدو في السطح على هذا القدر من الجمال لا بد ان يكون في الداخل على قدر مماثل من البشاعة » وبيتر هذا لا يفهم الحرب ولا يفهم ما معنى الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان ولكنه يفهم انه معزول من المجتمع وهو يقول في هذا الشأن : « كل ما اعرفه هو ان عالمي الصغير الخاص ذاهب ، بل هو ذهب فعلا ، اما بقية العالم ـ العالم الحقيقي فقد انقلب علي وهجرني ، ومع اني احاول ان ادخلفي الدائرة ، فلست قادرا على ذلك » ويجيء دور سوانسون في الكلام في الكلام على الحرب فيقول : « انا اكره كل هذه الضجة في الصحف ولكن ـ يا الهي ـ نحن مدينون بشيء ما لهؤلاء الاولاد « يقصد الطيارين » .

وتحدث حركة في الخارج قرب المطار . فاذا بمسار اللهب ينبيء عن نفسه . نقاط صغيرة من الضياء . فماذا يعني ذلك ؟ انه يعني انطلاقة جديدة . « مشغلة جهنمية محفوفة بالمخاطر ، ولا سيما فيليلة كهذه الليلة لا ريح فيها والطائرة محملة بالقنابل الى اقصى طاقتها ، مخاطرة جهنمية اسوأ من الهبوط » . وتمضي الساعات ثقالا كدبيب النمال في ارضية لزجة واذا بالباب قرع ، يدخل على اثره دستي ، فيهب الجميع مهللين مرحبين ويعقبه تيدي وما ان يستقر المقام بهما حتى يتحدث كل منهما عن المهمة الجوية ، لقد نجت طائرتهما بأعجوبة بينما تحطمت الطائرة التي كانت ترافقهما ، وينطلق دستي فيقول عن طائرتهما : « كانت (طائرتنا) تتقلب متمرغة ونحن في طريقنا الى الوطن ، كامرأة بدينة عجوز تتعلم السباحة » .

ويحل الهلع ضيفا على باتريشيا وتريد ان تفعل شيئا لابعاده عن نفسها المضناة ولكن ماذا تفعل وليس لها في الامر حيلة ؟ وتبدو علائم هذا الهلع في وجهها وحركاتها وسكناتها ، ويفطن تيدي الى ذلك فيقول : « اتريدين ان يفصلوني من القوة الجوية ؟ » فتبوح له بما في نفسها قائلة : « اتعرف ما بي ؟ خوف ، خوف اعتيادي ، خوف مرعب» انها لا تريد فصله من الخدمة . كل ما هنالك تريده ان يصبح مدربا ينال شيئا من الراحة . ولكن ماذا يعني ذلك ؟ انه يعني الهزيمة من المعركة ، الجبن في الساعة التي هي احوج ما تكون الى الشجاعة . وتحين لحظة من الصفاء الذهني الوهاج ، فيتحدث تيدي نفسه عن ذلك الرعب فيقول : « انت لا تعرفين ماذا يعني الشعور بالخوف ، طعم مر وحشي في الفم ولسان جاف واحساس بالمرض » ومع كل ذلك يمضي صاحبنا في القتال ، وتمضي باتريشيا في احتمال القلق المخيف والساعات التي لا تتحرك ، وجنون الحرب يزداد هياجا ، ويأتي النصر متأنيا متثاقلا ليقول : « ها اني كبدتكم كل هذه الخسائر من اجل غد تهون في سبيله التكاليف والضحايا .

بغداد يوسف عبد المسيح ثروة

قصة

حي بجسمه

بقلم عبد الحميد الانشاصي

حانوت واسع ممتلىء بألوان مختلفة من البضائع : معلبات وصابون واكياس منتفخة بالارز والدقيق والسكر . علب سجائر وسمن وشاي . حبوب كثيرة: قمح وشعير وعدس وفول وحمص وبن .

حانوت غني بكل ما يطلبه الانسان وما لا يمكنه ان يعيش بدونه . كل ما فيه يدل على ان صاحبه لا بد ان يكون ثريا هانئا مطمئنا .

(حانوت واسع الارجاء كثير البضائع امتص من صاحبه راحته وهناءه واقض مضجعه وشغلهعن متع الحياة ومسراتها . انه دنياه التي لايجد لذة ولا سعادة خارجها) .

صاحبه الحاج درويش تقي مواظب على اقامة الصلوات متوسط القامة تعلو رأسه عمامة مؤلفة من لفافة خفيفة مزوقة وطربوش احمر طويل نصف شرابته بارز ونصفها الآخر مكتوم تحت اللفافة . لحيته انيقة وشارباه مهملان . وبدلته قديمة وقذرة لا تتناسب مع بياض وجهه النظيف وحمرة خديه الصافية وبريق عينيه النشيط الحرن . ومن يلق عليه نظرة فاحصة يوقن ان بدلته تلك لم يرتدها الا منذ عهد قريب ، فانه لا يأخذ حريته في الحركة بها فضلا عن عدم انسجام اعضاء جسمه مع اجزائها . ويوقن كذلك ان صاحبها كان من قبل يرتدي قنبازا .

(الحاج درويش اناني كل همه ان يكسب نقودا ويدخرها في المصارف . يخشى الفقر والذل اكثر مما يخشى جهنم يوم القيامة. يحترمه الناس لانه ثري ، ويحترمه بعضهم لانه تقي يرونه في المسجد في اوقات الصلوات وان كانوا يتذمرون في بعض الاحيان من سوء معاملته وكذبه) .

« ـ يا حاج! ان البن الذي بعتني اياه منذ ثلاثة ايام فاسد ممزوج بمواد رخيصة كريهة الطعم . لقد ضاعت النقود التي دفعتها اليك ثمنا للبن سدى . ـ ممزوج ! فاسد ! انه بن ممتاز . انني انا الذي اشرفت على طحنه . أنا نفسي . أؤكد لك يا ابا ابراهيم انه افضل بن في المدينة . والله انه افضل بن في الاسواق . ـ تفه ! السلام عليكم ! ـ وعليكم ... السلام ! » .

« ـ يا حاج ! علبة مسحوق الحليب التي اشتريتها منك في الامس باربعة وثلاثين قرشا تباع عند ابي يوسف الشاهد بمبلغ واحد وثلاثين قرشا . ـ علبة مثلها تماما ؟ ـ نعم ، علبة مثلها تماما . الماركة نفسها والحجم نفسه . ـ هذا عجيب ! كيف باعك تلك العلبة بذلك الثمن ؟ في ذلك خسارة . ـ لا ، ليس في ذلك خسارة بل فيه صدق وامانة . الا لعنة الله على الكاذبين ! » .

« ما هذا ؟ أليس في هذا الرجل ضمير ؟ أليس له دين ؟ الا يكفيه ما هو فيه من نعمة وثراء ؟ الحق انه لا يستحق هذه النعمة » .

امتلأ حانوت الحاج درويش بالعملاء . بعضهم يحادثه في باب الحانوت ، وبعضهم يسعون في داخله ، بينما يسمع صوت الحاج درويش مرتفعا تارة ينتهر العامل الذي يناول العملاء ما يطلبونه من البضائع ، واخرى يغرق في الجدال مع عميل له .

« ـ ارفع ذاك الكيس لا هذا . كم بلغ وزن الارز ؟ هل أخذت ثمن علب السجائر ؟ ـ لا يا ابا حسن . ان الشاي الذي لدينا افضل بكثير من الشاي الذيعرض في السوق. يا ابا محمود ! انك لم تف بالدين الذي عليك . لقد بلغ حتى الآن عشرة دنانير. متي تقضي الدين ؟» .

وكان يسمع من حين الى آخر صياح الحاج درويش او صياح العملاء . وكانيسمع كذلك جدال عنيف وحدة في الكلام مع علامات السخط البادية على الوجوه وفي الايدي الممتدة بحركات عصبية .

وفي خلال ذلك كانتتنطلق ضحكات قوية عالية جافة موجزة . وكان الحاج درويش منهمكا في أخذ النقود من العملاء ووضعها في الخزانة الحديدية او تقييد اثمان البضائع على المديونين في السجلات، بينما كان يبلع ريقه ، وكانت سحب صفر تظلل وجهه الابيض .

واخيرا قال لمساعده :

ـ هل جاء فريد مهيوب في غيابي ؟

(انه رجل صفيق الوجه يأبى ان يقضي لي ما عليه من الديون) .

ـ كلا . لم يمر بالحانوت منذ اسبوع تقريبا .

(انه يخشى ان مر ان نطالبه بالدين الذي عليه) .

ـ ان مر مصادفة ناده وطالبه بالديون . قل له هذه آخر مطالبة وبعدها أرفع قضية ضده في المحكمة . افاهم انت ؟

ـ حسن ! سوف انبئه بذلك .

وبعد برهة من الصمتقال الحاج درويش :

ـ انا الآن ذاهب الى البنك العثماني . اريد ان اسدد كمبيالة .

(أوف ! انني في حيرة من امري . لست أدري ماذا أفعل .

اطالب العملاء بقضاء الديون التي عليهم ام اقضي للبنك الديون التي علي ؟ العالم كله ديون . ديون . ديون في الحوانيت والاسواق وديون في المصارف . لم يبق لدى الناس نقود . لقد اختفت الاموال).

(اصوات من الداخل: انا مرهق! اعصابي محطمة ! لقد سئمت العمل ! اترك الحانوت ! اخرج من المدينة ! اقض شهرا في لبنان لتستريح من أعمالك . ان صحتك اهم واثمن من جميع اموال العالم).

(منظر في الداخل: يركب الحاج درويش طائرة تقله الى لبنان ، ثم تهبط به في المطار ، وبعد ذلك يسرح ويمرح بين اشجار الصنوبر) .

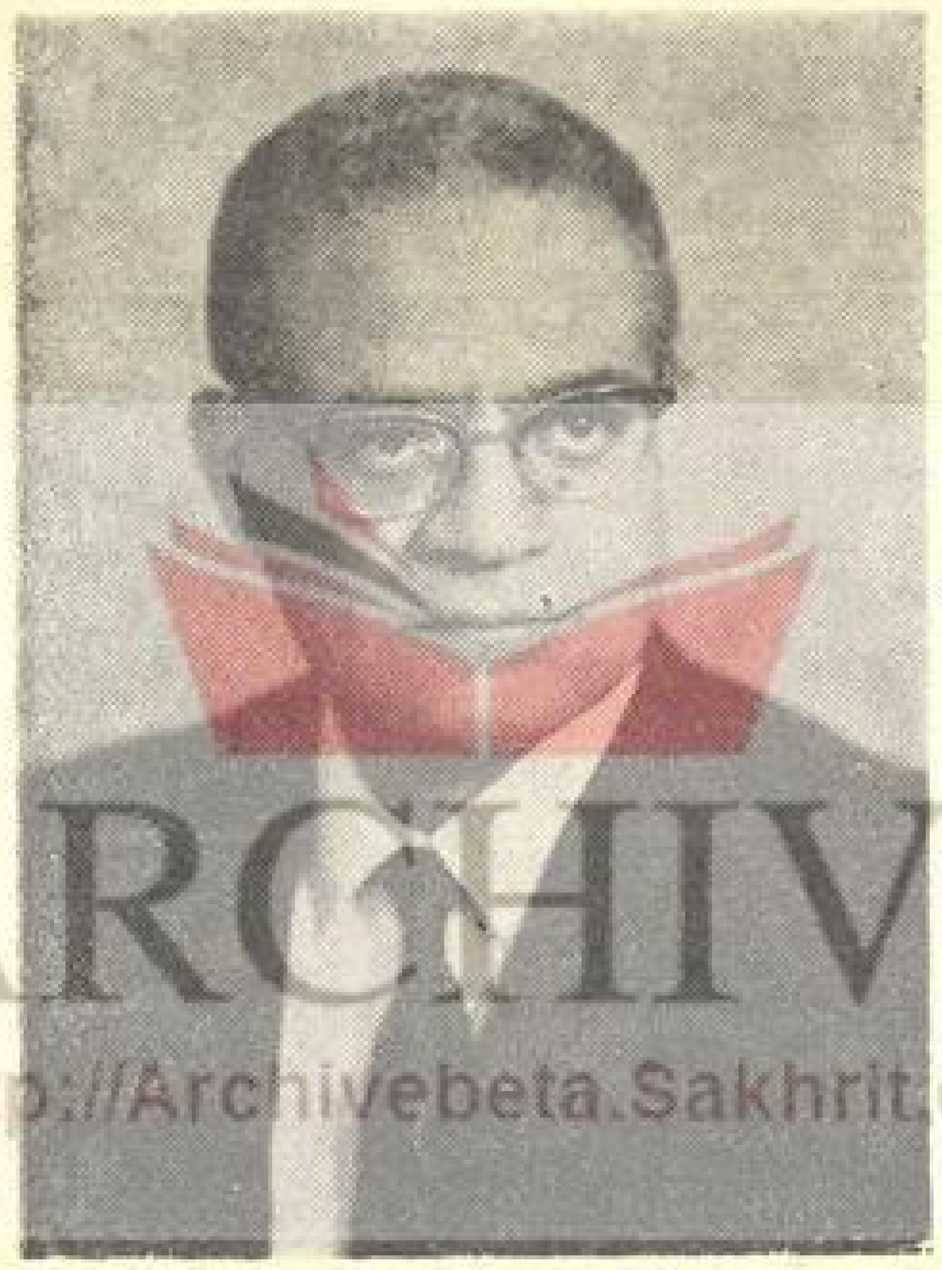
ومهما يكن من شيء فقد شعر الحاج درويش في طريقه الى البنك العثماني بشيء من الراحة وصفاء الذهن ، فقد استراح ذهنه الثقيل من كلمة « حاج ! » واذناه الكبيرتان من صياح العملاء وجدالهم وقهقهاتهم الساخرة . لقد استرد شيئا من هدوء باله وحريته .

وبعد المساء بقليل اغلق الحاج درويش الحانوت وذهب الى اقرب مسجد الى حانوته . وهناك رآه الناس راكعا ساجدا ، وسمعوا فمه الواسع يهمس بآيات قرآنية ودعوات غائبة .

ثم خرج من المسجد ، وتوجه الى منزله . كان يسير في بطء . وكانت يده تعبث بحبات سبحة جميلة الشكل في صمت ، اذ كان ذهنه مشغولا بالديون التي له والتي عليه، وبأسعار البضائع التي هبطت منذ عهد قريب ، وبالخسارة التي سيمنى بها بعد بيع تلك البضائع . ومن شدة تفكيره في ذلك لم يرد على تحية القاها عليه احد اصدقائه من التجار وهو راكب سيارته ومتوجه الى منزله . دعاه صديقه الى الركوب معه ليوصله الى منزله، ولكن الذهول حال بين الحاج درويش ورؤية اليد المشيرة . غير انه انتبه بعد فوات الاوان . تبين له وهو بين الغيبوبة واليقظة ان رجلا راكبا سيارة اشار له بيده يدعوه الى الركوب .

فاتحه مرة احد اصدقائه باقتناء السيارات الخاصة ، فقال له الحاج درويش :

— كل التجار البارزين اشتروا سيارات خاصة لهم ، وراحوا يستعملونها عند خروجهم من منازلهم الى حوانيتهم او حين عودتهم منها الى منازلهم ، ما عداي . كثيرون منهم استغربوا



عبد الحميد الانشاصي

●

احجامي عن شراء سيارة خاصة . وما حاجتي اليها ؟ انني في صحة جيدة استطيع ان اسير عدة كيلومترات بدون ان اشكو تعبا او عجزا . اولادي اولى بالنقود التي ادفعها ثمنا للسيارة الخاصة المستوردة من الخارج . مالي ولاولئك التجار ؟

(الحق ان السيارة الخاصة تكسب صاحبها هيبة وعزا . مرارا فكرت في شرائها . مرارا اعتزمت ان اشتريها ، فاقعدتني المشاغل عن ذلك . انني اشعر بخزي وذل بين التجار الكبار كلما فاتحوني بأمر السيارات الخاصة . لا شك ان السيارة الخاصة ضرورية لي لان منزلي بعيد جدا عن الحانوت وهو لا يقع على طريق السيارات العامة . ان كنت اشعر بقوة الآن فاني شاعر بضعف فيما بعد. ان كانت السيارة ضرورية لي فلم لا اعجل بشرائها ؟)

حينما دخل الحاج درويش منزله وجده هادئا لا حركة فيه ولا صوت ما عدا دويا كان منبعثا من الحمام ، فأيقن انه صوت الغسالة ، وان زوجته عائشة مشغولة هناك بغسل الملابس . مشى نحو الحمام ، وقد اتجه نظره مع خطواته الى الحمام . ولما وصل اليه اطل من بابه فوقعت عيناه على وجه زوجته عائشة وعلى كومة من الملابس ملقاة بجانب الغسالة ، ثم تبادل مع زوجته ابتسامة خفيفة .

كانت زوجته مرتدية ثوبا فضفاضا رخيصا لا يتلاءم مع اعضاء جسمها . ارتدته لتقوم بأعمال الغسيل . ومع ذلك فان الحاج درويش لم ينفر من شكل جسمها في ذلك الثوب الفضفاض الرخيص ، فقد اعجب بوجهها المستدير المتورد من كثرة العمل وحرارة ماء الغسالة . بدت في ذلك الوقت جميلة فاتنة كأنها قضت برهة طويلة امام مرآة التواليت وهي تحمر خديها وشفتيها وتبيض بشرة وجهها بالبودرة .

كان في عينيها وعلى اسنانها وخديها لمعان جذاب .

وبعد هنيهة قال الحاج درويش لزوجته :

— أين الاولاد ؟

(لقد اشتقت الى رؤيتهم) .

— الاولاد ؟ لقد ذهب واصف واخوه ربحي الى السوق .

(ذهبا لمشاهدة فيلم سينمائي).

— الى السوق ؟ الآن ؟ في هذا الوقت ؟ وماذا يريدان ان يفعلا هناك ؟

بعد برهة من الصمت اجابت عائشة :

— يريدان ان يشاهدا فيلما

— فيلما هنديا اثنى عليه بعض الجيران الذين شاهدوه .

فهز الحاج درويش راسه في سخر ثم قال :

— مساكين ابناء هذا الجيل ؟ لا شيء يشغل بالهم غير الافلام السينمائية . كل ما لديهم من النقود ينفق على الافلام السينمائية

— على مشاهدة مناظر الخلاعة والحب والنساء العاريات . هذا ما يفكر فيه شبان هذا العصر . هذا ما يفسد اخلاقهم ويؤدي بهم الى الانحلال . لي ثلاث سنوات لم اشاهد خلالها فيلما واحدا .

(ان ما اشتاق الى مشاهدته من الافلام السينمائية هو تلك الافلام التي تضج بالحروب والقتال فهي تعلم الناس الرجولة والفروسية) .

صمت قليلا ، واستغرق في التأمل هنيهة ثم قال :

— ووجدان ؟ اين ذهبت ؟ انها ليست في المنزل .

فرفعت زوجته وجهها عن الفسالة ، واخذت تعصر ثوبا ثم اجابت :

— وجدان ذهبت مع اختها لزيارة صديقة لها من الجيران .

(انها مخلصة جدا لصديقتها حنان ولا تستطيع ان تبتعد عنها لحظة واحدة) .

— متى ذهبت ؟

(لا شك انها ذهبت لزيارة صديقتها في الوقت الذي اغلقت فيه حانوتي . كيف تذهب الملعونة ليلا ؟)

— منذ ساعة تقريبا . وستعود عما قليل .

(من عادتها ان تطيل المكث عند صديقتها) .

— آ ! وماذا تفعل عند صديقتها؟ لماذا لا تزورها نهارا ؟

(انك مقصرة في مراقبتها . كيف تهملين ابنتنا الى هذا الحد ؟)

نشرت عائشة ثوبا بين يديها ، ثم نفضته في قوة ، فوقع شيء من رشاش ماء الفسيل على وجه زوجها ، فمسحه بكفه . وبعد هنيهة قالت وهي تنظر في وجه الحاج درويش نظرة آسفة :

— انها تشاهد مناظر التلفزيون .

(انها لا تمل النظر الى التلفزيون والاستماع الى صوته) .

— التلفزيون ؟ هل كل هذه المدة تقضيها في مشاهدة مناظر التلفزيون ؟ ان التلفزيون يتلف انظار مشاهديه ويلهي الاولاد عن الدراسة .

(انني اشك في تصرفات بنات اليوم . يجب ان تشددي الرقابة عليها. االى هذا الحد انتساذجة ؟)

انصرف من عند زوجته ساخطا ثائرا ، ومشى نحو غرفة الاستقبال . هناك القى جسمه المرهق الاعصاب على كنبة . ثم استل جريدة مطوية طيا محكما اكسبها شكل لسان طويل ممتد من جيبه المكتظ بمجموعة من المفاتيح ونماذج من اللوبياء والترمس والقضامة الملبسة بالسكر . نشر الجريدة بين يديه ، واخذ يتصفحها .

وبعد قليل دخلت عليه زوجته وهي مرتدية فستانا انيقا ، ثم جلست بجانبه ، وقالت له مبتسمة العينين والثغر :

— ماذا تقرأ يا حاج ؟

فأجابها دون ان يرفع اليها وجهه :

— لقد شغلتني اعمالي في الحانوت عن قراءة الجرائد . انني اطلع على اسعار الارز والسكر والبصل . هذا ما يهمني من الجريدة .

(أنا مالي وللسياسة والمقالات واللطائف الادبية والاجتماعية . لست متفرغا لها . ان هذه الامور للشبان والرجال العاطلين عن العمل)

فقالت زوجته في استغراب :

— فقط ؟! ماذا تم من امر الحرب في الفيتنام ؟

فأجاب مقطبا :

— الفيتنام كما هي واخبارها كما هي . لا شيء فيها تبدل .

(اخبار مملة . مالنا ولامثال تلك الاخبار ؟)

وبعد هنيهة رفع حاجبيه في تألم واجفال قائلا :

— له ! في الجريدة خبر هام . مسكين ابو داود الصراوي !

(لقد كان رجلا تقيا لا يهمل فرضا) .

— ماذا جرى له ؟

— لقد مات . مسكين !

(كان في مثل عمري . ترى بأي مرض مات ؟)

— العمر لك .

— انه لم يكن متقدما في السن .

— الاعمار بيد الله .

وبعد تأمل طويل قالت عائشة لزوجها :

— متى نزور ابن عمك لطفي ؟ لقد زارنا هو وزوجته منذ زمن طويل . ولهما علينا زيارة . فمتى نزورهما يا حاج ؟

(انك تؤجل الزيارة كثيرا . كل ما يهمك ويشغل بالك الحانوت والبضائع . كأنك لست في الدنيا . ان لم تذهب معي الى منزل ابن عمك ذهبت اليه انا وصديقة لي من الجارات) .

فكر الحاج درويش برهة ثم اجاب :

— في مساء يوم الجمعة القادم ان شاء الله . ذكريني بذلك في مساء يوم الجمعة .

(ان هذه الزيارات تضيع اوقاتي سدى . انني لست متفرغا لها . ولست ادري متى تبطل هذه العادة) .

وان الزوجين لكذلك اذ قدمت وجدان ومعها اختها وهي صغيرة السن . دخلتا الغرفة وهما تكادان

الى شاعر

ايه – هزار – آثرت في أعطافيه ... أوهام عـــذراء وشوق الغانيـه
وسكبت عبر مسالكي انـداء دنـ ... يا ثرة قـــد كنت عنها غافيـه
وفتحت آفاق الجمال لناظري ... ونثرت فـي دربي قطافا دانيـه
وشرعت أسباب الحياة لخافقي ... ومددت أعماقي برؤيـــا باقيـه
فشدوت لحن الحب في حلو الرؤى ... وعرفت نجوى الزهر بوح الساقيه
ورتعت في سبل الحياة تحف بي ... أطياف عيش لاح فـــي أحلاميه
فأنـــا العبير البكر أزكت عطره ... أجواؤك النشوى دناك الحانيـه
وأنا الربيع الطلق اغوته المنـــى ... حد القريض جموحه والقافيـــه

دمشق — سلافة العامري

تطيران من الغبطة والفرح . وقالت وجدان في ابتسام وهي تنظر الـى امها وابيها :

– لقد سررت كثيرا وانا اشاهد رواية تمثيلية مضحكة علـى شاشة التلفزيون . وكذلك طربت طربـــا شديدا بعدما استمعت الى غنـــاء صباح . يـا لهـا من ساعة سعيدة يا أبي ! لقد تمنيت لو انك انت وامي كنتما معنا . ليت لدينـــا تلفزيونا مثلـــه !

فقال الحاج درويش فــي رزانة وعبوس :

– ساعة واحدة فقط ؟

(انك طائشة . اين كنت ؟)

ففاض الابتسام من وجه وجدان، ولم تفه بكلمة مـن شدة الصدمة . غيـــر ان عائشة تداركت الامـــر بقولها :

– انها صبية صغيرة . دعهـــا تبتهج وتفرح . ان لم تسر في هذه الايام فمتى تسر ؟!

(هـــل تقيس وضعها بمقياس وضعك ؟ انت كهل وهي صبية) .

وبعد مضي بضع دقائق سمـــع الجميع صوت واصف وهـــو يصفر وصوت أخيه ربحي وهـــو يغني . كانا يتمايلان طربا . ولمـــا وقـــع نظرهما على والديهما كفـــا عـــن الصفير والغنـــاء . قالت عائشة لواصف وهو يدخل الغرفة ومـــن ورائه ربحي :

– هل قضيتما وقتـــا سعيدا يا بني ؟

وفي الوقت نفسه قال الحـــاج درويش لواصف :

– اين كنتما ؟

(اصحيح انك كنت انت واخوك تشاهدان فيلما سينمائيا ؟)

فحار واصف في امره ، ولم يدر ايهما يجيب اولا اباه أم امه . التفت الى ابيه قائلا :

– كنت اشاهد فيلما هنديا يـــا أبي .

ثم التفت الى أمه مبتسما متطلق الوجه وقال :

– الحق انه فيلم رائـــع . ليتك تشاهدينه يا أمي !

(احب ان اشاهده مــــرة ثانية بصحبتك . اما ابـــي فهو مشغول دائما) .

وقال ربحي لامه بصوت يفرد من الفرح :

– انني لم اشاهد فـــي حياتي فيلما كذلك الفيلم الهندي . انـــه حافل بالنكت والرقص والغنـــاء . لن انسى مناظره ابدا .

وقال واصف بنغمـــة تفيض حيوية :

– لقد كانت دار السينمـــا غاصة بالنظارة . كل جاء لمشاهدة ذلـــك الفيلم الرائع : الرجـــال والنساء والاولاد . انه فيلم عالمي ما في ذلك ريب . ان الافلام الهندية تفـــوق الافلام الاميركية براعة وجمالا .

(ليتني أشاهده مرة ثانية . هذا فيلم لا يمل) .

وكان الحاج درويش يلقي علـــى ولديه نظرات ذاهلة صامتة . لم يدر ماذا يقول لهما . ان حاسبهما علـــى انفاق ما لديهما مـــن نقود علـــى مشاهدة الافلام السينمائية دافعت عنهما امهما . لذا آثـــر الصمت . وكان يخشى ان تنطق زوجته بكلام تشجعهما به على مشاهدة الافلام السينمائية . وقـــد نطقت بذلـــك الكلام وقالت لولديها :

– خذا حظكما مـــن الدنيا يـــا ولدي . ان الدنيا فانية .

(وان كان والدكما لا يرغب فـــي ذلك) .

ونظرت الى زوجها لترى مـــاذا يقول ، فحدجها بنظـــرة نارية ، واطلق نفسا طويلا دون ان يفـــوه بكلمة .

(اصوات من الداخل : هل هذه تربية ؟ أهكذا تقـــول الام لاولادها ؟ اصبح الاب لا يستطيع ان يتحكـــم في مصير اولاده في هـــذه الايام . هذا ما يشغل بال الاولاد في هـــذا العصر : سينما ، تلفزيون ، راديو ، السيارات الخاصة . لا ديـــن ولا تقوى) .

(منظر في الداخل : ينهال صفعا على وجوه اولاده ، ثم يصيح فيهم قائلا : اياكم ان تفعلوا ذلك مـــرة ثانية ايها الطائشون) .

ثم التفت الى ابنته فـــي عبوس قائلا :

– هاتي السجادة لاصلي صلاة العشاء . ان ذلك خير من الاستماع الى هذا الكلام الفارغ .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

الـزواج السـعيـد

بقلم حسن فتحي خليل

* * *

السعادة شيء جوهري في حياة المتزوجين ، يحلمون بها قبل زواجهم ، ويحاولون تحقيقها حين تتصل حياتهم بعد الزواج . فهي المداد الذي يسطرون به صفحات حياتهم الهانئة ، والامل الذي يجري وراءه كل من يحاول ان يربط حياته بحياة أخرى رباطا ابديا مقدسا .

ولما كان الزواج أمرا ضروريا في الحياة ، بل هو الحياة نفسها ، لانه الاداة الرئيسية التي تكون النتاج الآدمي على مر العصور ، بل ولما كان امرا واجبا نزل به الوحي وحبذته سائر الاديان، والنتيجة الطبيعية الشريفة لاتحاد الغرائز الجنسية المسيطرة على حواسنا جميعا ، فان السعادة يجب ان تكون مزاجه الدائم وملء حياة كل زوجين ، واهم ما يرغب في الزواج ويدفع الكل الى طريقه الهانىء .

لذلك كثرت البحوث في أسباب السعادة ، وكثرت النصائح لكل من الزوجين ليحاول كل من ناحيته في قدر طاقته ان يوفرها لزميله دائما .

ولكن للاسف الشديد ـ بالرغم من هذا كله ـ فقد كثرت حوادث الطلاق اخيرا ، وخاصة في ايامنا هذه ، وحاول الكثيرون بحث أسباب ذلك ، وتساءلوا جميعا :

لماذا تفشل اكثر الزيجات الحديثة ؟ ولماذا يحدث الانفصال بعد مضي مدة قصيرة على الزواج ؟ ولماذا يقصر أمد تلك السعادة المنزلية التي كان يرجوها الزوجان ؟ ولماذا يتمزق ذلك الثوب من الاحلام الذهبية الذي نسجاه قبل الزواج ؟ ولماذا يندر الآن ان نسمع عن زوجين عاشا طيلة حياتهما الزوجية كأنهما ما زالا في شهر العسل الذي لا ينتهي أبدا ؟

لو استعرضنا الامر جيدا لوجدنا لذلكعدة اسباب، منها الخداع والزيف قبل الزواج بين الرجل والمرأة وخاصة في فترة الخطبة . فلو امكن لكل منهما ان يظهر على حقيقته الطبيعية ، ولا يتكلف ولا يتصنع الرقة والدماثة وهدوء الاخلاق ان لم تكن طبيعية فيه ، ولا يغالي في عواطفه نحو الآخر مغالاة شديدة ، لاصبح كل منهما سعيدا . ولكن .. يأتي الزواج ، واذا بكل ما حدث كان مجرد اوهام وسراب . ويتضح ان كلا منهما كان يخدع الآخر ويغشه ، ولما يرفع ستار الحقيقة اذا بهما مختلفان جوهريا واخلاقيا ، واذا بحياتهما تقوم بدايتها على هذا النفاق .. واذا ما قامت حياة على النفاق فلن تطرق السعادة بابها بطبيعة الاحوال .

فالكذب ، اذا ما لابس الحياة الزوجية كان دمارا لها واجتاحها بل واقتلعها من جذورها .. الكذب بكافة انواعه ، الكذب المادي ، والكذب الحسي ، كذب المظاهر ، وكذب العواطف ، انه أداة مهلكة وشر من الشرور التي تأباها طبيعة الحياة الزوجية القائمة علىالمعاونة والعواطف الثابتة العميقة والاجتهاد والتشجيع والعمل على تحسين الاحوال على اشرف الاسس . اما اذا سادها ذلك الخداع والزيف والنفاق والكذب فلا سبيل للزوجين سوى الانفصال بعد ان اصبح كل منهما يتهم الآخر بأنه قد غدر به والقى به في ذلك المصير المحتوم .

كما ان التعاون هو اهم ما يقوم عليه عماد الحياة الزوجية المرجو لها السعادة ، التعاون بين الزوج والزوجة ، التعاون الصحيح القائم على الحب المتمكن من قلبيهما معا ، التعاون في سبيل حياة يغمرها الهناء لتزدهر وتنمو وتثمر خير الثمار . فيجب على الزوجة ان تكون اليد التي تدفع زوجها نحو الكمال دائما ، فكم من الزوجات كن ذوات اثر فعال في حياة ازواجهن ، وكم من عباقرة في هذا الجيل والاجيال الماضية كان لزوجاتهم اكبر الفضل في نجاحهم . ان المرأة التي تقدم كل ما يمكنها من معونة لزوجها امراة تشرق السعادة في سماء حياتها . والرجل اذا ما أحس بمثل هذه العواطف الشريفة من زوجه أحبها حبا يفوق كل حب ، وكانت هي لديه اهم ما يملأ حياته بهجة وسرورا . فعلى المرأة اذن ان تعاون زوجها بكافة الطرق ، بعواطفها الحارة ، بكلماتها المشجعة ، بابتسامتها الحلوة ، باقبالها عليه دائما ، باهتمامها بكل اموره ، بتوفير سبل الراحة له دائما ، باشعاره بانه كل شيء لها ، وان سعادتها مستمدة دائما من سعادته .

هذا ، ولما كانت السعادة في الزواج تقوم دائما على الحب المتبادل بين الزوجين ، فان اهم ما يجب ان يضعه الزوجان نصب أعينهما هو دوام ذلك الحب ، ودوام فورته وحرارته ، لانه اذا ما خمدت هذه الحرارة فان السعادة المتعلقة بها والتي تسير معها جنبا الى جنب سيصيبها الوهن هي الاخرى ويشقى كل من الزوجين في حياته .

ولكن .. كيف يحتفظ الزوجان بهذا الوهج من الحب دائما ؟

لقد سئل الكاتب الايطالي المشهور بيراندللو عن ذلك فأجاب :

يجب علينا ان نعنى عناية فائقة بتلك الحقيقة الكبرى ، ألا وهي الخيال . فالزواج يجب ان يكون خيالا لا نهاية له . والزيجات السعيدة هي التي يمكن ان يعيش

فيها الخيال دائما والتي تتجدد بتجدد الطبيعة نفسها . فاذا حاولنا ايضاح ذلك نجد ان المرأة تحب الرجل كما تعتقد هي وكما تراه بغرائزها وحواسها ، لا كما يراه غيرها ، فهو في عينيها يبدو حينئذ بطلا من الابطال او شخصا ممتازا ، بينما هو نفسه يبدو في أعين الغير رجلا عاديا لا يميزه شيء ، يختلف تمام الاختلاف عن الصورة التي تحتفظ بها هي ولا نملك حينئذ نحن الذين نراهما على تلك الحال الا ان نضحك ساخرين من ذلك الحب الجنوني الذي تغمره به .

ويمكن تطبيق نفس الفكرة على حب الرجل للمراة ، فهو يحبها لا كما تبدو لنا ، ولكن كما يرجو هو ان تكون، فهو ان تكلم عن الجمال والرقة والجاذبية وغير ذلك انما يتكلم عن وحي من شعوره الخاص نحو شخص معين هو بطبيعة الحال المرأة التي يراها بعينيه وغرائزه واحساساته .

فالسعادة مثل الحقيقة .. ليست بالشيء الثابت ، انما هي تتغير مثلها ، لاننا نحن أنفسنا نتغير ، فنرى السعادة في ضروب مختلفة تبعا لاختلاف فترات حياتنا، فاذا ما حطمنا الخيال ، وحطمنا العقيدة ، فاننا نحطم السعادة الزوجية نتيجة لذلك .

وفي كلمة اخرى فان الحب يبقى كلما عنينا بدوامه ، يبقى ما دمنا نخلقه خلقا ونحييه دائما ونجدده كلما تجددت حياتنا . فالحقيقة ليست مجردة ، فان كانت كذلك ولا تتغير ، كان لها سكون الجثث والتماثيل . وعلى ذلك ، فلن تكون هناك حياة بل هو الموت الدائم . فكل اثنين يتحابان يريان بعضهما بعين الحقيقة التي تخصهما هما فقط ، وليس بمنظار الحقيقة الذي يراهما به الناس ، فاذا ما حطمنا الحقيقة .. وحطمنا القوة التي نرى بها احياءنا كما نرجو فكأننا قد حطمنا الحب نفسه .

هذا وقد ثبت دائما ان الزواج والحب يجب الا يقوما على الغريزة الجنسية فحسب ، بل يجب ان تدخلهما بعض العواطف الروحية .. وهو دليل آخر على ما سبق القول به ، وها هو تولستوي الكاتب الروسي الكبير يعلن نظريته التي اصبح يؤمن بها بعد تجربة زواجه التي دامت طويلا ، وهي تقول : ان الحياة الزوجية اذا ما قامت على علاقات متبادلة اساسها الرغبة الجنسية فحسب فهي حياة فاشلة مسممة .. اذ ان الاستسلام الى هذه الرغبة نتيجته الدمار دائما .

فالعواطف الروحية في الزواج واجبة ، على الا تطغى على ما عداها ، بل يجب ان تكون لها اوقاتها الملائمة حتى تشتعل دائما قوة الحب الكامن في قلبي الزوجين ونفسيهما وروحيهما معا .

ولكن .. لعل هناك سببا آخر للزيجات التعسة الحديثة ، فالحب بطبيعته المعقدة نادرا ما يأخذ طريقا واحدا بالنسبة للرجل او المراة ، ونادرا ما يسير حب كل منهما موازيا للآخر ، بل ونادرا ما نرى شخصين متكافئين في الحب في بدء حياتهما الزوجية، ويستمران في حبهما لبعضهما بنفس القوة ، فغالبا ما يحدث ان يضعف حب أحدهما بمرور الزمن ، وحينئذ يجب على المراة ان تلعب دورها المهم حتى تحتفظ بسعادتها الزوجية .

ولعل اكثر النساء اليوم قد تناسين ان الزواج ليس مجرد حقوق تؤخذ ، بل هو من ناحية اخرى واجبات تعطى ، ولعلهن لا يذكرن أيضا ان مهمة المراة الكبرى هي ان تعطي افضل واشرف واسمى ما تملك من عاطفة .

ونحن نتهم ايضا تلك المدنية الحديثة ، لانها من اهم أسباب فشل الحياة الزوجية وتقويض دعائمها ، المدنية الحديثة التي يسرت للمراة ان تجرفها تيارات من الافكار الجديدة والآراء التي تضرها اكثر مما تنفعها ، اذ ان النساء في هذا العصر الحديث يحاولن تقليد الرجل في كل شيء والخروج عن طبيعتهن ، ولكنهن أخطأن بذلك في حق أنفسهن ، فالمرأة المسترجلة تعادل الرجل المخنث ، والمرأة التي تحاول ان تكون رجلا انما هي نسخة رديئة من بنات جنسها .

فالمرأة لها دورها التي خلقت من أجله لتؤديه على مسرح الحياة ، وعليها ان تحتفظ بأنوثتها اذا ما ارادت السعادة في الزواج ، وحظها في هذه السعادة سيلازمها ما دامت لا تحيد عن مهمتها التي وجدت لها .

والمرأة السعيدة هي التي تبقى على حقيقتها وطبيعتها في حياتها ، أعني تلك التي تظل دائما زوجة واما التي تعتقد دائما انه قد ألقيت على عاتقها مهمة كبرى تتقبلها في سرور وشجاعة ولا تتبرم بها ، فتحتفظ دائما بروح الهدوء والسلام في مجرى حياتها ، وهما أساس السعادة العامة . وسعيدة هي المرأة التي تشع من حولها تلك الروح .. وستكون السعادة قطعا ملء بيتها ما دامت لديها القوة الكافية التي تجعل الرجل يستسلم اليها عن طريق الحب والحب فقط .

كل هذه الاسباب اذا تأملها الرجل والمرأة معا كانت السعادة رائدة حياتهما وعليهما تتوقف نتائجها وخاصة المرأة ، فهي كالتربة الخصبة التي تتلقى الماء من السماء فتنبت البذرة وتحمل الثمار التي وجدت من أجلها .. ثمار الحب التي تتعهدها وتنميها وتعنى بها .

فلندعها تسير وفق غريزتها الطبيعية لتلعب الدور الذي خلقت له ، وحينئذ لن يعلق بحياتها اي شقاء .. بل ستحوطها السعادة دائما .

الاسكندرية **حسن فتحي خليل**

ثلاثون الف سائح في صور - الغد



تم اعداد الملامح الاخيرة لمشروع تجهيز من شأنه ان **يطور جنوب لبنان تطويرا كاملا . ذلك هو مشروع اعداد** مدينة صور اعدادا سياحيا ، في عملية تضاهي اشغال مشروع الليطاني ، في حجم الاموال المرصدة لها وفي اثارها الاقتصادية والاجتماعية المرجوة .

والواقع ان هذا المشروع الذي بدأ تنفيذه سوف يهيء للبنان مجمعا سياحيا لا مثيل له في حوض البحر الابيض المتوسط .

وقد كشف النقاب عن هذا المشروع منذ يومين ناطق رسمي بلسان المجلس الوطني لانماء السياحة ، وأشار الى المحادثات التي اجراها رئيس المجلس الوطني في بيروت وروما ، ثم اكد ان البنك الدولي والشركة المالية الدولية التابعة له يمكن ان يهتم بمشروع دراسة لتجهيز صور سياحيا ، تمهيدا لتمويله ، وهو مشروع كانت قد قدمته لجنة من الخبراء الايطاليين ، ووافقت عليه الحكومة اللبنانية .

واضاف الناطق الرسمي قوله : واننا لا ريب ما نزال في المرحلة الاولى من اشغالنا ، غير ان التعهدات التي عقدت توحي بالتفاؤل في مستقبل المشروع . وذكر الناطق الرسمي بان البنك الدولي كان قد اوفد لهذه الغاية الى بيروت احد كبار المديرين فيه وهو السيد ديفيد احد اهم الخبراء في تمويل المشاريع السياحية في العالم .

وقد اقترح بعض التعديلات التي من شأنها ان تجعل الدراسات اكثر ملائمة لاصولها المألوفة لدى البنك الدولي والشركة المالية العالمية . واول هذه التعديلات يتعلق بمدة تنفيذ المشروع ، التي يرجو البنك الدولي ان تختصر من عشر سنوات الى خمس . وثاني هذه التعديلات يتعلق بالاعتمادات المالية اللازمة . ذلك ان الخبراء الايطاليين قد حددوا مبلغ ٢١٥مليون ليرة كموازنة اجمالية للمشروع ، الا ان البنك الدولي يقترح عملية تصاعدية ، يكون في اولى مراحلها تحقيق مشروع رائد .

وهذه الاقتراحات اخذها المجلس الوطني بعين الاعتبار ، وكذلك الشركة الايطالية التي وضعت المشروع. وقد عرض هذه المساعدة السيد فنفاني وزير خارجية ايطاليا عند مروره ببيروت في نيسان عام ١٩٦٧ ، وتقع في نطاق اتفاق المعونة التقنية بين لبنان والاسرة الاقتصادية الاوروبية ، وهي عامة لا تتعلق بمنطقة معينة بالذات .

وقد ارتأى السيد ميشال الخوري ، وكان آنذاك وزيرا للسياحة والتصميم ان تستفيد منطقة النجوب من هذه المعونة .. وبادرت ايطاليا التي اخذت على عاتقها تمويل الدراسات ، الى أيفاد بعثة من الخبراء ، عكفت على العمل منذ كانون الاول عام ١٩٦٧ .

واعلن الناطق الرسمي بلسان المجلس الوطني بقوله: **انه لا يسعنا في هذه المناسبة الا ان نشيد بمعونة وزارة** الخارجية الايطالية وسفارة ايطاليا في لبنان ، وقد سهرا على حسن تنفيذ المشروع ، وما زالا يقدمان لنا مساعدتهما الجدية في جميع خطواتنا . ومن مهمات اللجنة الايطالية ما يلي :

١ - تحديد طبيعة الدراسات السياحية المطلوبة ،

والتي تستجيب للمطالب الراهنة ، والمنتظرة من رواد صور .

٢ ـ تحديد جميع الشروط التي يجب ان تتوفر في المجمع السياحي ، ليجتلب ، ويستبقي عددا كافيا من الزبائن والرواد .

٣ ـ تقديم المخططات التي تتيح (تجسيد) المرافق، والتجهيزات المقترحة .

٤ ـ تقييم التوظيفات المالية والنفقات اللازمة لاقامة وانجاح المشروع .

٥ ـ اجراء تحقيق بواسطة مؤسسات عامة وخاصة مختصة لتحديد شروط تمويل مشروع كهذا ، مع العلم بان رؤوس الاموال المطلوبة تكون من مصادر اجنبية .

٦ ـ تحديد نسبة المساهمة التي توافق الدولة على تقديمها ، لتشجيع المجمعات المالية اللبنانية .

٧ ـ تحديد المبالغ التي تكون الدولة اللبنانية مستعدة لبذلها ، وتحديد الفترة الزمنية لذلك .

وقد أجابت لجنة الخبراء الايطاليين ، التي اختارتها روما ، لما لها من تجربة ، وخبرة ، على اكثر الاسئلة المطروحة . وهي وان لم تنجز رسميا مهمتها ، الا انها اكتسبت نظرة واضحة لمستقبل صور ـ الحمامات . وفضلا عن هذا اعلن الناطق الرسمي بلسان المجلس الاعلى لانماءالسياحة ان المشروعيتضمن انشاء مجمعيضم خمسة عشر الف سرير ، ويستطيع استقبال ثلاثمائة الف سائح في العام . والى هذا المجمع ستضاف منشاءات دائمة ، تستمد مصادرها من المجمع . وتتألف هذه المنشاءات من نشاطات هامشية كالمطاعم ، وسوق النوفوتيه ، والبقالة، والصناعات اليدوية ، وما الى ذلك .

ومما لا ريب فيه ان منطقة صور ، وبالاحرى جنوب لبنان كله سيفيد من هذا المشروع . وقد صمم الخبراء صور ـ الحمامات لتكون موقعا محاطا بالمياه الساحلية العذبة ، وبمياه البحر .

وبهذا سوف تعيد صور المستقبل ذكرى صور القديمة في بعض جوانبها . وتكون مدينة بحرية تجري المياه فيها باستمرار ، ويتم الانتقال اليها بالبواخر . اي انها ستكون « بندقية لبنانية » مقامة على مجموعة من التلال التي تغطيها الاكواخ « بنغالو » وتفصل بين اجزائها البحيرات ، والاقنية . اما المساحات المسطحة فانها سوف تخصص للفنادق . وتبلغ مساحة الموقع البحيري ٣٣٠ هكتارا ، الى جانب ٤٢ هكتار من المسابح التي لا يقوم فيها اي بنيان .

وجميع ذلك سوف يكون مجمعا سياحيا لا مثيل لجماله ومداه ثمانية كيلومترات ، وتغطيه رمال ناعمة لا تضاهيها رمال . وسيضاف الى هذا الموقع مرفأ للسلوى يؤوي اليخوت ، والمراكب الشراعية ، والزوارق البخارية، وزوارق الدورية التي تقوم بمهنتها بين صور وبيروت .

وخشية من تأخر انشاء اوتوستراد الجنوب ، فضل الخبراء الايطاليون تجنب اية عراقيل لا طائل تحتها ، وذلك بجعل الانتقال بين انحاء صور بواسطة البواخر ، والطائرات الخفيفة ، والسكة الحديدية ، مما يجلب متعة للسياح من هواة الاثار ، والسلوى . واخيرا ، يتوقف سير السيارات على طول الساحل ، عند شاطىء صور ، حيث يقام موقف واسع للسيارات . تلك هي الخطوط الكبرى للمشروع الايطالي ، وهو مخطط اولي عام . ذلك ان المخطط النهائي لم يقرر بعد ، ولا يتوفر اي استنتاج حول الدراسات التي جرت ، وهي بعد في مرحلتها التمهيدية .

هذا وان كل ما كتب او قيل عن مجمع صور المقبل لا يمكن الا ان يكون سابقا لاوانه ، أو غير صحيح .

الا ان هناك فكرة كبرى تشق طريقها ، فكرة سوف تبدل الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبنان الجنوبي ، ولتحقيقها يملك المجلس الوطني لانماء السياحة سلاحين :

ـ الاول له طابع قانوني ، ويمنح الدولة بموجب قانون ٧ تموز ١٩٦٧ الحق ، ضمن شروط معينة ، في الاستملاك لفوائد سياحية او لاستعمال الارض لمشاريع سياحية وكذلك الحق في انشاء شركات للاقتصاد المشترك .

ـ والثاني له طابع اقتصادي . ذلك ان مشروعصور سوف يدر ارباحا كبيرة . ويقدر الخبراء الايطاليونتقديرا جذريا بان المشروع سوف ينتج ربحا يقدر بعشرين في المائة ، وانه يمكن ان يستجلب رؤوس اموال لبنانية واجنبية، وبانتظار النتائج النهائية لاعمال لجنة الدراسات الايطالية ، اطلق المجلس الوطني لانماء السياحة عملية تجريبية ، لاستكشاف ردود فعل السياح . فقد انشئت دارة استراحة في الطرف الشمالي للشاطىء ، عند حدود المنطقة الاثرية .

وهذا الدارة التي تديرها المدرسة الفندقية ، والتي سوف تضم عشرين سريرا ، ستستقبل السياح الاوائل قبل نهاية العام الحالي . وهكذا ، ستجد صور ، التي اعتبرت حتى اليوم مدينة منسية ، طريق الامل ، بانتظار طريق الازدهار .

وقد شاءت الدولة اعمار الجنوب وتطويره لاسباب واضحة تتعدى الفائدة المادية ـ وسواحل صور اجمل سواحل المتوسط ـ لتشمل الدافع المعنوي للعدالة الاجتماعية الاولية ، الضرورية لاستقرار لبنان وتقدمه .

مكتبة الاديب

بـــلاد العـــرب

تأليف الحسن بن عبد الله الاصفهاني ـ تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي ـ ٥٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض

يقول اديسون ، ليس في هذا الوجود من نحني له الرأس اجلالا عن حب وتقدير الا صناع الزاد للانسانية .

وحينما اعترض صديقه فورد قائلا : اذن فانت تفضل رجال الحقول على عمال المصانع . ضحك اديسون قائلا : لست اعني هؤلاء ، انما أقصد زاد الارواح ، اقصد رسل الفكر من رجال الفلسفة والادب والفكر .

ورجال الفكر هم تتمة للموكب الخالد ، موكب الرسالات السماوية ، التي احتضنت الروح الانساني وربته وهذبته . واخذت بيده الى المعاني العليا والمثالية التي تسمو بالحياة ، لتكون جديرة بعالم يصدر عن الله .

وليس من شك في ان العالم الفاضل الشيخ حمد الجاسر ـ عضو المجمع اللغوي بمصر وعضو المجمع العلمي بدمشق ـ في مقدمة هؤلاء الرجال الذين نذكرهم بكل اجلال وبكل تبجيل واكبار ، وسيبقى جميع الناطقين بالضاد متأثرين بمحاولاته الاصلاحية في الادب والتاريخ والدين سواء في الشرق او الغرب .

والعالم الفاضل من خيرة علمائنا واعمقهم وابرزهم انتاجا في مجال التاليف والتحقيق كثرة ، وجودة . وله جولات موفقة في تحقيق المخطوطات . فمن مؤلفاته وتحقيقاته التي تزهو المكتبة العربية وتعتز بها عدا ما نشر له من بحوث قيمة في مختلف المجلات العربية والكتب الآتية :

١ ـ « مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ » وقد الحق بهذا الكتاب مجموعة من الصور الاثرية للمدينة وخريطة كبيرة .

٢ ـ « غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة » تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري ، مع توسع في اخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر . تأليف قطب الدين محمد بن احمد النهرواني المكي (٩١٧ ـ ٩٩٠ هـ) .

٣ ـ « بلاد ينبع » وهو عبارة عن لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة .

٤ ـ شارك في تحقيق احد اجزاء كتاب « المغانم المطابة من معالم طابة » تأليف مجد الدين الفيروز آبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ) . وهو كتاب يعتبر من اهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة الشريفة القديم ، وفي خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وانه ليعد للطبع كتابين آخرين على جانب كبير من الاهمية احدهما عن « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، والآخر عن « ابن عربي موطد الحكم الاموي في نجد » ، وابن عربي هذا امير مجهول عاش في القرن الاول الهجري .

وتحت يدنا الآن كتاب ضخم جديد بعنوان « بلاد العرب » . ومؤلف هذا الكتاب هو ابو علي الحسن بن عبد الله الاصفهاني من أهل القرن الثالث الهجري ، وكان من كبار أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن له في آخر ايامه نظير في العراق .

وهذا الكتاب يعتبر ـ كما جاء في المقدمة ـ اثرا من آثارنا القديمة يرجع الى الربع الاول من القرن الثالث الهجري فما قبله . ولهذا الاثر ميزات اهمها :

١ ـ انه يحدد اجزاء كثيرة من منازل القبائل العربية ، التي كانت تقطن وسط جزيرة العرب ، متجاورة ، ويحاول ان يحصي ما لها من مناهل وجبال وامكنة ، مما يعين دارسي الادب العربي في عصوره القديمة . وهذا ما لا نجده الا في هذا الكتاب ، في عهدنا الحاضر .

٢ ـ انه حوى اسماء كثيرة ومنها ما ورد في الشعر ، مما لا نجده فيما بين ايدينا من المصادر .

٣ ـ ضم طائفة من المعلومات المتعلقة بالقبائل من انساب واسماء شعراء ، وكلمات لغوية ، ينفرد بها عن غيره مما وصل الينا ، ومن الشعر ما لا يوجد في غيره ، بحيث نفقد بفقده جزءا من ثقافتنا العربية .

٤ ـ يتضمن تفصيلات لا نجدها في غيره ـ من الكتب التي وصلت الينا ـ عن معادن قلب جزيرة العرب ، وهي معلومات على بساطتها لا يستغني عنها أي باحث في المجال الاقتصادي .

٥ ـ وأمر على جانب كبير من الاهمية ، هو انه يذكر لنا المواضع التي تتفق في الاسم ، ولكنها تختلف باختلاف القبائل التي كانت تسكن في تلك المواضع ، وهذا من الامور التي اوقعت اللبس والخطأ والخلط في تحديد كثير من مواضع الجزيرة ، مما لا تمكن معرفته الا بمعرفة من يسكنه من القبائل .

مما تقدم ذكره من الميزات ومن غيرها مما لم نذكره ، يستطاع القول بأن هذا الاثر ذو قيمة كبيرة في تراثنا العلمي العربي ، وذو اثر عظيم بالنسبة للمعنيين بدراسة التراث العربي ، بوجه الاجمال .

ولقد قام بتحقيق هذا الاثر النفيس ايضا استاذنا الكبير العلامة الشيخ حمد الجاسر بالاشتراك مع العالم الجليل الدكتور صالح احمد العلي ، رئيس الدائرة العلمية للتاريخ والآثار في جامعة بغداد ، وعميد « معهد الدراسات الاسلامية العليا » .

وقد بذلا في تحقيق الكتاب جهدا عظيما مشكورا يبرز اثره في كل صفحة من صفحاته . وكان التحقيق قائما على ما يأتي :

١ ـ التعريف بالكتاب ، وبمؤلفه ، وبنهجه ـ وصف النسخ الخطية ـ ايضاحات حول النشر .

٢ ـ الحاق بعض الحواشي والتعليقات المفيدة .

٣ ـ ثبت بأسماء المواضع (الاودية والجبال والمياه والامكنة) وعددها ٢٠٨٨ موضعا مرتبة حسب الحروف الابجدية .

٤ ـ بيان بأسماء المعادن وعددها ٣٠ اسما .

٥ ـ بيان مفصل مرتب حسب الحروف الابجدية بأسماء الامم ويشمل : القبائل والعشائر والافخاذ والاسر .

٦ ـ بيان بأسماء الاعلام ـ الرجال والنساء ـ مرتب ايضا حسب الحروف الابجدية ويحتوي على ١٩٦ اسما .

٧ ـ بيان بأسماء الشعراء ويحتوي على ١٠٨ اسماء .

٨ ـ فهرس للشعر مقسم الى قسمين : قسم القصيد ويحتوي على ٣٥٦ بيتا ، وقسم الرجز ويحتوي على ٥٣١ شطرا .

٩ ـ بيان بأسماء النبات .

١٠ ـ بيان بأسماء الايام .

١١ – ثبت بالكلمات اللغوية .

١٢ – ثبت بالمصادر الوارد ذكرها في الهوامش .

فجاء الكتاب بذلك كاملا في مجلد ضخم تبلـغ صفحاته ٥٢٨ صفحة ، مقدما له ببحث واف ممتع يقع في ٢٢ صفحة للدكتور صالح العلي ، أبان فيه ما لدراسة جزيرة العرب من اهمية خاصة في تاريخ العرب والاسلام ، ففيها ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعا الى الاسلام وأسس دولة الاسلام ، وعلى أهلها اعتمـد الرسول والخلفاء الراشدون في فتح البلاد وتوسيع رقعة دولة الاسلام ، ومـن ابنائها كان الجند الذين وسعوا حدود دولة الاسلام وثبتوا فيها الامن والنظام.

كما اشار الدكتور صالح الى امر اوقع الغافلين عنه فـي اخطاء فاضحة ، وخلق في اذهانهم بلبلة محيرة ، الا وهو التنوع الكبير في اجزاء الجزيرة ، والتبدل الذي تعرضت له ، التنوع في تركيب الارض واحوال سطحها ، ومدى توفر المياه والنباتات والمزروعات فيها ، ومـا يتبع ذلك من تنوع في مظاهر الحضارة ، واثر ذلك في تنوع تفاصيل مظاهر الحياة واللغة .

وبعد ان لخص الدكتور صالح محتويات الكتاب تلخيصا وافيـا ووصفه في النهاية بأنه « واضح في تعابيره ، بسيطة جمله ، مألوفة كلماته ، مركز خال من الحشو والتكرار » ، انتهى الـى نسبة تأليف الكتاب الى الاصمعي فهو يقول في ختام بحثه : « في هذا الجو العلمي ألف الاصمعي كتابه عن جزيرة العرب ، مركزا اهتمامه بوصف ديار كل عشيرة كانت قائمة ، ومواطنها . فهدفه محدد واضح ، وهـو ينسجم مع تأليف الكتب آنذاك وحيث كان لكل كتاب هدف محدد معين ، يمثل جانبا من ثقافة المؤلف ، ولا يمثل نظرته ، اذ ان نظرة المؤلف تتجلـى في جملة ما يكتب ، وقد كتب الاصمعي كتبا اخرى عن جوانب اخرى من حياة الجزيرة واهلها » .

وهنا يقف القارىء متحيرا في معرفة من هو مؤلف الكتاب الى ان يقلب الصفحة التالية ليقرأ فصلا آخر بعنوان « ليس هـذا الكتاب للاصمعي » ينتهي منه الى ان المعلومات التي يتضمنها هذا الكتاب قد اثرت عن رواة من الاعراب من معاصرين للاصمعي ، وممن جاءوا بعـد عصره ، ومنهم من قد يكون الاصمعي روى عنه او اجتمع به ، وقـد يكون في بعض كتبه من معلوماتهم ما هو في هذا الكتاب ، فجاء عالم متأخر عن عصر الاصمعي فجمع تلـك المعلومات ، واضاف اليها مـا استطاع اضافته ، وقد يكون هذا العالم هو الاصفهاني ، فلما جـاء الاسكندي والزمخشري وغيرهما رأوا ان هذه النصوص منسوبة الـى اعراب متقدمين ، وان عمل الاصمعي او غيره لا يعـدو مجرد الجمع ، فاستفادوا من تلك المعلومات ، ولم يجدوا الحاجة داعية الـى معرفة الجامع لها ، فأوردوها في كتبهم ، وقد يكون القسم الاوفر منهـا منسوبا الى الاصمعي ، في أحد مؤلفاته، وعلى هذا حكم ياقوت الحموي بأنها من جمع الاصمعي وتأليفه ، معتمدا على وصول احـد مؤلفات الاصمعي اليه برواية ابن أخي الاصمعي ، بطريق ابن دريد ، الـذي لا نرى له اثرا يمكننا من الجزم بما جزم به ياقوت من كونه من رواته، فيما وصل الينا من مؤلفاته ...

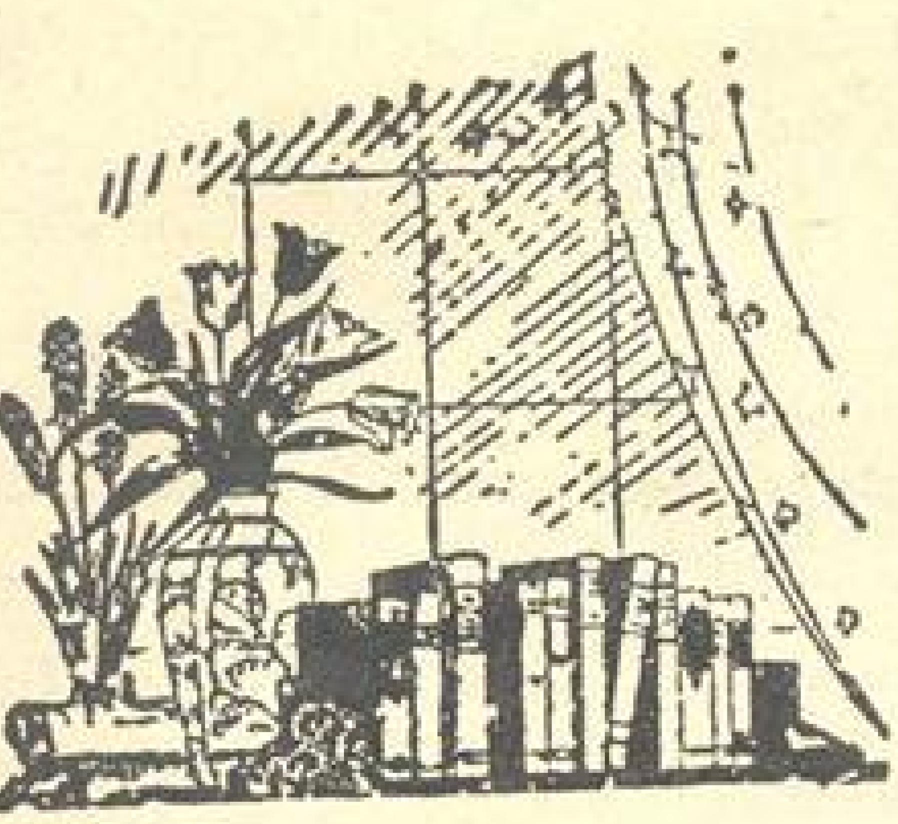
وأيا كان الامر ، فالكتاب – كما قلنا فيما تقدم – اثـر من آثارنا التي ليس للاصمعي ولا لغيره من الرواة فيه الا مجرد التدوين ممـا لا يؤثر في القيمة التي يتوخاها كل باحث .

لقد بلغ الكتاب بالحق حدا من الكمال والجودة ، وحسن الترتيب وروعة الاخراج وجمال الحروف ووضوحها .

والكتاب فضلا عن ذلك يعد ثروة تاريخية وجغرافية وادبية كبيرة، وكنزا ثمينا بالغ الاهمية ، ذا قيمة علمية لا تقدر في دنيا التراث .

واذا كان لنا من ملاحظة عاجلة عابرة نبديها – وان كانت لا تمس جوهره ، بل تنحصر في بضعة اخطاء طفيفة لا تؤثر مطلقا على قيمتـه العلمية ، ولا تقلل من شأنه ، هي ما سبقنا الى الاشارة اليها الاستاذ

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 : Tel
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد في الجزء الثامن من السنة الثانية من مجلة «العرب» صفحة ٧٥٩ وهي ان كلمة Saudi Arabian صحتها Saudi Arabia وكلمة Belad صحتها حسب النطق الصحيح Bilâd ، وكلمة Revised by صوابها كما هو متبع دائما هو Edited by

وفي ختام هذا التحليل لكتاب « بلاد العرب » نرى لزاما علينا ان نسدي الشكر وافرا وجزيلا للمحققين الفاضلين لما بذلا من مجهود في سبيل تحقيق هذا الكتاب الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة المشرفة الجديرة بالفخر والاعجاب والتقدير معا .

ولا يفوتنا كذلك ان نزجي الشكر مضاعفا للمشرفين على « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » على نشر هذا الكتاب - الذي سد فراغا كبيرا في المكتبة العربية - في سلسلة مطبوعاتها القيمة التي ما فتئت تتحف بها قراء العربية من آن لآخر وكلها ذات سمة تاريخية او جغرافية او اجتماعية .

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

•

القامـــوس السياســـي

وضع احمد عطية الله - ١٤٤٠ صفحة - حجم كبير - دار النهضة العربية بالقاهرة

عندما يصدر الاستاذ احمد عطية الله « القاموس السياسي » على هذا النحو وبهذا الحجم الضخم ، بالاضافة الى عمليه الكبيرين : دائرة المعارف الحديثة « القاموس الاسلامي » (صدر منه مجلدان) وتضم في مجموعها عند اكتمال القاموس الاسلامي اكثر من خمسة آلاف صفحة ، نجد اننا في حاجة الى نظرة واسعة الى ابعاد هذا العمل ، والى جهد هذا الباحث الكبير .

فليس هذا العمل وليد الساعة ولا الزمن القريب ولا يمكن ان يكون كذلك ، وانما هو خلاصة عمر باحث أفرغ فيه كل جهده وعصارة ثقافته وخلاصة تجربته ، فالاستاذ « احمد عطية الله» يبلغ هذا العام، العام الستين من عمره المديد باذن الله ، وقد شغل نفسه بفكرة الموسوعات ودوائر المعارف منذ عام ١٩٢٧ تقريبا . ففي هذه الفترة كان الحديث يتردد على حاجة اللغة العربية والعالم العربي والباحثين العرب الى موسوعات ودوائر معارف ، وقد زخرت الصحف بالحديث في هذا الامر ، وتصدى الكثيرون لهذا العمل ، وفي مقدمتهم المسؤولون الرسميون ومن بينهم عبد الخالق ثروت واحمد فريد رفاعي وعرض الدكتور محمد حسين هيكل لذلك في جريدة السياسة الاسبوعية وتبخر ذلك كله عن مجموعة من الآمال والاماني ، ولم يكن العهد قد بعد بدائرة معارف فريد وجدي التي اصدرها بعد الحرب الاولى ١٩٢٢ ومن قبلها دائرة معارف البستاني التي لم تكتمل .

عاشت كل هذه الصور والاحلام في نفس احمد عطية الله الشاب الذي لم يكن قد عدى العشرين من العمر ، والذي كان قد سافر الى اوروبا في بعثة رسمية ليتم تعليمه في جامعة لندن ليحصل على درجة بكالوريوس ثم هو يطوف اوروبا فيشاهد مكتباتها ودوائر معارفها وجامعاتها ويحادث المفكرين بها ويعود وفي اعماقه تصميم اكيد على ان يقوم بجهد في مجال القواميس والموسوعات ودوائر المعارف غير انه يظل سنوات يجرب خطواته في دراسات وابحاث مختلفة في مجال التاريخ والسيرة والتراجم ثم لا يلبث في عام ١٩٤١ خلال الحرب العالمية الاولى ان يبدأ عمله ويظل يواصله حتى اليوم من خلال سبعة وعشرين عاما لا يتوقف ، وقد اتيح له في هذه الفترة ان يسافر مرة اخرى الى اوروبا وان يقف على اعمال دوائر المعارف العالمية وان يزداد خبرة واتقانا لعمله ، فيصدر خلال ذلك دائرة المعارف والقاموس الاسلامي ثم يقدم اليوم هذا العمل الضخم الذي يضم اكثر من ٤ آلاف مادة تتعلق بكل ما يهم الباحث والمفكر من التعريف بجميع دول العالم من حيث جغرافيتها واقتصادياتها ونظم الحكم فيها ومجرى الاحداث حتى عام ١٩٦٧ كما يتضمن تعريفا بالمنظمات والهيئات الدولية والاقليمية والاحزاب والمؤتمرات والمعاهدات واشهر الشخصيات السياسية المعاصرة كما يتضمن تعريفا بالمصطلحات الدولية والسياسية والدبلوماسية والمذهبية والدستورية والادارية والتكتيكية والاقتصادية مع توسع في كل ما يتصل بالعالم العربي .

يقول الاستاذ عطية الله : دام العمل في سبيل اعداد هذه الطبعة من القاموس اكثر من عامين وتضاعفت مواده حتى ارتفعت الى نحو اربعة آلاف مادة ، ويقول : ان اكبر ما يشغل الباحث ويحتاج فيه الى قاموس هو هذا العدد الضخم من الالفاظ والمصطلحات والتعابير واسماء الاعلام التي برزت بعد الحرب العالمية الثانية ولم تكن مألوفة او معروفة ، ترددها الصحف والاذاعات وما اليها ، وكان لا بد وقد عزت المراجع التي تتابع هذه التطورات وتبسط الحقائق بسطا موضوعيا لا يستهدف سوى نشر المعرفة ، من ان يقوم من الباحثين من يتصدى لسد هذا الفراغ في المكتبة العربية .

ويكشف المؤلف في قاموسه السياسي عن منهج في الكتابة جديد، يطلق عليه اسم « الاسلوب الموسوعي » او طريقة الكتابة الخاصة بدوائر المعارف ، وهذا اسلوب يختلف اختلافا كبيرا عن اساليب الكتابة الصحفية والادبية ، اذ يستهدف تقديم اكبر قدر من المعلومات في اقل قدر من المساحة على ان تضم هذه المعلومات : (اولا) : تعريفا عاما للمادة . (ثانيا) ، تاريخ حياة هذه المادة . (ثالثا) : التطورات المختلفة والفروع .

ويقول الاستاذ عطية الله : ان شرط الاسلوب الموسوعي ان يكون شاملا متكاملا ، وان تكون عين المؤلف الموسوعي على المستقبل والغد البعيد ، حيث تنمو بعض الشخصيات وحيث تتطور مواد مصطلحاته ، فيكون محتفلا بالفرعيات الصغيرة دون اهمال لها ، الى حد ان يظل القاموس قادرا على الاستجابة لحاجة الباحثين سنوات طويلة .

وعندنا ان المؤلف الموسوعي - وعدد هؤلاء قليل في المكتبة العربية - لا بد ان يكون مزودا بثقافة تاريخية واقتصادية وسياسية واسعة وان تكون مراجعه منوعة وكثيرة بحيث تضمن له عصارة وافرة في المادة الواحدة ، كما ان تكون له قدرة اصيلة في اللغات الادبية ، وعين لا تنام عن المادة اليومية المتداولة في الصحف والتي قد تمر على الكثيرين دون ان تلفت نظرهم ، او تشغل خواطرهم .

واذا كان « الاسلوب هو الرجل » كما يقول بوفون ، فلا شك كان لشخص احمد عطيه الله وطبيعته وثقافته ابعد الاثر في هذه القدرة والكفاية البالغة للتصدي لمثل هذا العمل والصبر عليه هذه السنوات الطوال والانتفاع بكل ما اتصل به خلال هذا الزمن من تجارب وابحاث وكتب ودراسات .

فالاستاذ احمد عطيه الله رجلاسواني المولد ، يحمل تلك الخصائص التي عرفت لابناء مصر الاصليين من صلابة وصمود وصبر ، وهو من القلائل القادرين على امضاء يوم كامل من صباحه الى مسائه جالسا الى مكتب يعمل لا يشغله شيء عن العمل ، ولا يعينه في ذلك الا فنجان من القهوة او لقمة ساندوتش يتبلع بها .

ثم هو قادر على الجري وراء المراجع دون ملل للبحث عن كلمة ، قد ترد في كتب الادب او كتب الفلسفة او كتب القانون او كتب الدين او كتب علم الركه ، دون ان يزعجه هذا التقليب الطويل ، والامتحان العسير المتصل حتى يصل الى روح الكلمة ومدى اثرها وامتدادها هنا وهناك .

ثم هو الى ذلك رجل لا هواية له الا هذا العمل ، يستطيع ان يقبع في مكتبه اياما واسابيع منفصلا عن العالم كله دون ان يزعجه شيء .

وهو ليس من الكتاب والادباء الراغبين في الشهرة او التطلع الى الظهور الا بقدر ما يحتاج عمله الى التعريف به . فهو عازف عن اهواء الادباء ، يعرف قدره كعالم باحث متخصص ، جاد ، لم تستطع المناصب المتعددة التي تولاها ان تصرفه عن طابعه كعالم باحث ، كما عجزت مغريات الادب والصحافة ان تحوله عن خلقه كرجل صارم جاد ، لا يقبل انصاف الحلول او مرضيات المجاملات ، وانما ياخذ الامور مأخذ الجد ، ويحب عمله حبا شديدا ، ويرى فيه سبيل التقدير الحقيقي ، ولا يضيق بان يطول امد عجز الناس عن تقدير العمل العلمي الخالص ، ويكتفي بان يقدر الفضل ذووه .

ويعمل الاستاذ عطيه الله الان في اكمال « القاموس الاسلامي » الذي صدر منه مجلدان - وبقيت ثلاثة مجلدات . وهو عمل موسوعي له طابع آخر يختلف عن القاموس السياسي . فهذا مجاله الواسع في التراث الاسلامي من الاعلام والكتب والمصطلحات الفقهية والتاريخية والروحية . وقد اثبت الجزآن الصادران اهمية هذا العمل والحاجة اليه ، فاذا كان القاموس السياسي يمثل حاجة اليوم والعصر والعمل المتصل بالحضارة والحرب والسياسة والاقتصاد ، فان القاموس الاسلامي يمثل حاجة المجتمع في دينه وثقافته ومايتعلق بالانسان ومعاملاته وعباداته وما يتصل بشؤونه الدنيوية والاخروية .

ومن هنا فان الاستاذ عطيه الله حين يكمل القاموس الاسلامي يكون قد قدم جناحي الثقافة الانسانية العربية الحديث منها والقديم ، الروحي منها والمادي ، الاجتماعي والسياسي جميعا .

القاهرة — انور الجندي

عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية

تأليف الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي - ٣٩٦ صفحة - سلسلة اعلام العرب - العدد ٦٧ - مطبعة دار الكاتب العربي بالقاهرة

أحدث دراسة عن الزعيم عمر مكرم أصدرها هذه الايام الدكتور عبدالعزيز الشناوي استاذ كرسي التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الازهر . وقدم لنا فيها صورة صادقة عن حياة هذا الزعيم الشعبي المصري الذي اشترك في تلوين قسمات تاريخنا المعاصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وفي البحث القيم الذي يتكون من سبعة ابواب كبار ، يحاول المؤلف ان يحيط بأبعاد هذه الشخصية الفريدة بين زعماء العرب وخاصة في التاريخ الحديث ، فيتناول البيئة التي تنفس فيها زعيمنا وخطواته في العمل السياسي والوطني منذ ان تولى منصب نقيب الاشراف مكافأة له من المماليك لوساطته التي قام بها امام حاكم مصر العثماني . وقد اكسبه هذا المنصب مكانة دينية كبيرة والتف المصريون حوله وساندهم مع رجال الازهر في رفع ظلم المماليك والعثمانيين وتبلور ذلك بصورة واضحة في موقفه من الحملة الفرنسية ونابليون سنة ١٧٩٨ ، وفي ثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠ أيام كليبر ، وفي ثورة ١٨٠٥ ضد الحاكم العثماني . وكانت الثورة الاخيرة صورة من صور الكفاح المسلح الذي حمل الشعب المصري شعلته أربعة اشهر وحدثا سياسيا فريدا في تاريخ مصر القومي . فلاول مرة يقوم زعماء الشعب وعلى رأسهم عمر مكرم بثورة يطيحون فيها بأحد الباشوات العثمانيين الظالمين الذي يمثل نظاما كان يبدو خالدا الى الابد . ويسندون الحكم الى الحاكم الذي وقع عليه اختيارهم بمحض ارادتهم. فالزعماء والمشايخ لم يقنعوا بالدور التقليدي وهو بذل الوساطة بين الحاكم والشعب بل « تزعموا المحكومين وخاطبوا الحاكمين بلهجة شديدة الجرأة بعيدة المغنى » .. ويقول الجبرتي في هذا الموضع وكان « الفقير من العامة يبيع ملبوسه او يستدين ويشتري به سلاحا » ..

ويلتفت الدكتور الشناوي في بحثه الى التساؤلين اللذين يفرضان نفسيهما فرضا دائما في الحديث عن عمر مكرم .. مجال الاول

.. لماذا لم يناد الشعب المصري بعمر مكرم او بزعيم مصري آخر واليا على مصر ؟ . والثاني .. لماذا اتجه اختيار عمر مكرم الى محمد علي بالذات ليكون واليا على مصر ؟ .

ويجيب دارسنا بأن الثورة الشعبية كانت موجهة ضد حاكم عثماني ظالم بصفته الشخصية ولم تكن الثورة موجهة ضد السلطان العثماني ، فالمجتمع المصري كان في ذلك الوقت مجتمعا دينيا ينظر الشعب المصري للسلطان على انه سلطان الاسلام وليس حاكما اجنبيا دخيلا مستعمرا . وعلى سبيل المثال نذكر الاجتماع المشهور لكبار مشايخ الازهر مع الجنرال كليبر عقب اخماد ثورة القاهرة الثانية في ابريل سنة ١٨٠٠ الذي سخر فيه القائد الفرنسي من تأرجح رجال الازهر بين الولاء للفرنسيين وبين الولاء للعثمانيين .. فانطلق الزعماء يصفون سلطان الدولة العثمانية بصريح العبارة بانه سلطان المسلمين قبل كل شيء .

ويرى الدكتور حسين مؤنس ان عمر مكرم « يقبض على زمام الشعب ويسيطر عليه تماما ولكن ما عساه ان يفعل ؟ انه يرجو الخلاص من ولاة السلطان لا السلطان نفسه ، يسعى للانقاذ ولكنه لا يريد ان يكون ملكا او اميرا . »

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فالسلطان ما كان ليقر تعيين مصري واليا على مصر ، واحداث حركة علي بك الكبير وقعت في الفترة ١٧٦٨ — ١٧٧٣ كانت لا تزال عالقة في اذهان المصريين ، بل ان كثيرين ممن شاركوا في ثورة سنة ١٨٠٥ قد عاصروا تلك الحركة وكانوا يعلمون ان علي بك لم يجرؤ على قطع جميع الروابط مع السلطان .

وبالنسبة للتساؤل الثاني ، فهناك عدة اعتبارات كانت تحدد الرؤية امام عمر مكرم وهي .. ان محمد علي كان في منصب يمثل والي مصر وان محمد علي اظهر عطفا مصطنعا على الشعب المصري ومناصرة زائفة له ابان المحن التي تلاحقت بالجماهير مما جعل عمر مكرم يتعاطف معه بقلب صادق . هذا بالاضافة الى ان محمد علي كان يتردد على بيت عمر مكرم يتملقه باعتباره كبير زعماء مصر .

يقول الجبرتي وهو يترجم لمحمد بك الالفي « ومحمد علي يداهن السيد عمر سرا ويتملق اليه ويأتيه ويراسله ويأتي اليه في أواخر الليل وفي اوساطه مترددا عليه في غالب اوقاته حتى تم له الامر بعد المعاهدة والمعاقدة والايمان الكاذبة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ولا يفعل امرا الا بمشورته ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الان » (عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار في التراجم والاخبار . طبعة بولاق ١٢٩٧ هـ ج ٤ ص ٣٤) ومن هنا جاء اطمئنان زعيمنا لمحمد علي . ولقد توسم الرجل الطيب فيه الخير والتزام العدل لذا اقترح اسم محمد علي على المشايخ والاعيان الذين اخذوا باقتراحه او ترشيحه وكان هذا الاجراء انهاء للفوضى السياسية واراحة الشعب.

ويفند المؤلف الزعم الفرنسي بأن الفضل في تولية محمد علي يرجع الى مساعي نابليون بونابرت الدبلوماسية في الاستانة الذي ادى الى صدور فرمان السلطان بتعيين محمد علي واليا على مصر . بعد ان رشحه ماتيو لسبس مبعوثه السري الذي ارسله الى القاهرة ليتعرف على الشخصية القادرة على اعادة النظام لمصر والعمل لصالح فرنسا . والحقيقة ان الباعث الحقيقي لهذه الاسطارة الفرنسية كان اغراء ولاة مصر من اسرة محمد علي بخدمة المصالح الفرنسية والتمكين لها في البلاد . ولا شك ان هذا الزعم أتى اكله وأوضح أمثلة ذلك .. عقد امتياز انشاء قناة السويس وعقد امتياز انشاء حوض لاصلاح السفن في ميناء السويس والاخير جاهدت انجلترا ثلاثين عاما للحصول عليه وفشلت ! .

ويعتمد الدكتور شناوي في تفنيد الاسطارة على المصادر والمراجع التاريخية وكتابات المحيطين بمحمد علي وكبار المؤرخين المصريين فهذه المصادر والمراجع لا تذكر على الاطلاق شيئا عنها رغم ان اغلبها فرنسية ومعاصرة للاحداث ، حتى كتاب « التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية في مصر » الجزء التاسع والجزء العاشر الذي انفرد بكتابتهما اكيل دي فولابل وهو فرنسي متعصب يهتم بابراز أثر الفرنسيين في مصر في جميع القطاعات ، لم يشر المؤلف الى تلك الاسطارة من قريب او بعيد بل اشاد بدور عمر مكرم في تعبئة الجماهير وتدبير المقاومة الشعبية وفي تولية محمد علي حكم مصر .

ويستعرض المؤلف اراء ثلاثة اساتذة اجلاء هم محمد شفيق غربال ومحمد فؤاد شكري وعبد الرحمن الرافعي في تفنيد هذه الفرية. وتتلخص دراساتهم في هذا الموضع في ان ماتيولسبس وصل الى مصر في مايو ١٨٠٣ لرعاية المصالح التجارية الفرنسية ونتيجة الاضطرابات الداخلية عاد لفرنسا في نوفمبر سنة ١٨٠٤ قبل اندلاع الثورة الشعبية وما تبعها من احداث ، وان ماتيولسبس بعث لوزارة الخارجية الفرنسية اثناء اقامته في مصر قرارا بأن محمد علي قائد الالبانيين لا يتمتع بعبقرية او بنبوغ يمكنانه بوصفه قائد اكبر فئة من الجنود من ابتكار خطة واسعة ووضع برنامج شامل وتدبير الوسائل اللازمة لتنفيذه . بالاضافة الى ان نابليون نفسه اتجه الى التعاون مع المماليك وليس مع محمد علي لاقامة حكومة مستقرة في مصر . أوفد الامبراطور نابليون الى مصر فراميراي في ٣٠ — ٤ — ١٨٠٤ يحمل رسالة بالشفرة الى ماتيولسبس يطلب فيها الاتصال بالامراء المماليك والوقوف منهم على المساعدة التي ينشدونها من فرنسا !

وانتهت ثورة سنة ١٨٠٥ بتولية محمد علي حكم مصر وقد وافق السلطان على ذلك ما دام قد اختير برأي العلماء وبدأت نوايا محمد علي لتنفيذ خطته وهو يعمل على ان يكون حكم مصر وراثيافي اسرته واستعان محمد علي بدهائه في استغلال مساندة عمر مكرم له وخاصة عندما بدأ المماليك في تدبير مؤامرة للاطاحة بحكمه وعندما اصدر السلطان فرمانا بنقله الى سالونيك في سنة ١٨٠٦ ، وفي ربيع عام ١٨٠٧ تعرضت مصر لعدوان بريطاني بقيادة فريزر فلم ينتظر الزعيم مجيء محمد علي الذي كان يحارب المماليك في الصعيد واخذ يتلكأ في العودة بل بادر باستنفار الشعب الذي كسب معركة رشيد . وعندما علم محمد علي بهذا النصر « تراجعت اليه نفسه » كما يقول الجبرتي واسرع في العودة !

ومن هذا الوقت تبدت احقاد محمد علي للزعيم الشعبي وأبدت المواقف المختلفة الصدام بين الرجلين ، فلم يعد محمد علي يلتفت الى آراء عمر مكرم ولا الى نصحه له في تخفيف الضرائب الذي أخذ يكثر منها او كف يد جنوده عن العبث بالناس .. واسفر محمد علي عن وجهه تماما غير عابىء باحد الى درجة التزوير في الكشوف المالية المرسلة للاستانة وكان قد ارسلها الى الزعيم المعتكف طالبا توقيعه عليها فرفض واتهمه بالسرقة واشتد الصراع اذن بين كبير الزعماء والقولي وهدد الزعيم بالكتابة للسلطان واسقاطه كما رفعه .. فما كان من محمد علي الا ان أقصى عمر مكرم عن الزعامة الشعبية وساعده على التخلص من الزعيم انقسام الزعماء وحقدهم على كبيرهم فقرر عزله من نقابة الاشراف ونفاه الى دمياط وبنفي عمر مكرم انتهت الزعامة الشعبية في مصر ..

وقد حاول الدكتور الشناوي ان يقدم صورة دقيقة وصادقة لعمر مكرم ونجح في ذلك الا انه في احيان قليلة جنح الى تبرير غير موضوعي في رسم هذه الصورة مثل خروج عمر مكرم مع العثمانيين سنة ١٨٠٠ .. بعد فشل ثورة القاهرة الثانية التي استمرت ثلاثة وثلاثين يوما ، لقد خاف ان ينكل به الفرنسيون وترك الشعب لمصيره الرهيب بين أيدي الغزاة المستعمرين . وكذلك مسايرة عمر مكرم لاكثر طغيان محمد علي ثم عزلته واعتكافه عن دفع الطغيان والشعب ينوء بحمله القاسي ، لقد كانت لزعيمنا اليد الطولى في تأييد محمد علي واختياره واليا على مصر فكان عليه اذن ان يعلن للشعب الحقيقة التي اتسمت بها علاقته

مع محمد علي وينفذ تهديده الذي اعلنه ويقصيه عن الحكم لا ان يترك الشعب يواجه مصيره المؤلم .

ولقد ابدى الجبرتي حنقه على عمر مكرم لانه كان السبب في تولية محمد علي حكم مصر فقال بعد ان نفي الى دمياط ان الضيم الذي نزل بالزعيم على يد محمد علي هو بعض ما يستحقه .

مركز طلخا ـ ج ٠ ع ٠ م **بهاء الدين علوان**

•

قصة الدراما الهندية

تاليف محمد فكري ـ ١٠٠ صفحة ـ العدد ١٨٦ من « المكتبة الثقافية » ـ دار الكاتب العربي بالقاهرة

أوضح المؤلف في البداية ان الحضارة الهندية تقوم على الروحانيات والغيبيات . كما أن النهضة الحديثة الكبرى قد طرحت جانبا كل هذه الافكار الغيبية والروحانيات الهندية ثم تحدث عن الديانات الهندية والادب الهندي كمدخل لدراسة قصة الدراما الهندية منذ اقدم العصور حتى الان .

مر المسرح الهندي الحديث بعدة مراحل حيث بدأ هذا الفن الرواد الاول ، الذين كونوا الفرق المسرحية المختلفة ، وترجموا المسرحيات الاوروبية ، واقتبسوا منها ايضا ، ثم ظهرت كتابات مسرحية هندية تعالج المشكلات الاجتماعية . وقد انبثقت الدراما الهندية عن الرقص والموسيقى والكتب الدينية والاساطير .

ازدهر المسرح الهندي القديم على أيدي بهاسا وكاليداسا وشودراكا الذين كتبوا باللغة السنسكريتية، وعرفمسرحهم بالمسرح السنسكريتي. ثم جاء بها فوبتي في القرن السابع بعد الميلاد ، وفيشاكاردا في القرن الثامن ، وقد احدث الاول تحولا جديدا في الدراما الهندية حيث لم يخضع مسرحياته لقواعد الفن الدقيقة .

والعناصر الاساسية التي قام عليها المسرح السنسكريتي هي الشعر والموسيقى والرقص ولا تتقيد الدراما السنسكريتية بوحدتي الزمان والمكان . ونفى الكاتب تأثر الدراما السنسكريتية بالدراما الاغريقية برغم ما كانت عليه العلاقات السياسية والثقافية بين الهند واليونان وقتذاك من اتصال وتقارب ، الا ان المسرح الهندي الحديث قد تاثر بالمسرح الغربي واتبع اصوله .

ثم احتجبت الدراما السنسكريتية ولم يظهر من الكتاب من استطاع تطويرها ، لكن الدراما الشعبية عاشت في نفوس الشعب وازدهرت . ففي البنغال ، ازدهرت الاوبرات الغنائية الشعبية التي تتناول مبادىء العقيدة الدينية وأصولها . كما انتشرت مسرحية « البهاجا فاتام » في جنوب الهند .

وفي الشمال ، كانت الجماهير تحتشد في المناسبات الدينية لمشاهدة اجزاء من « الرامايانا » .

فتن فنانو الهند بالدراماالغربية ، فتأثروا بهاوعمدوا الىمحاكاتها. وكان منهم الرواد الذين عشقوا المسرح فجاهدوا لارساء قواعده، فتكونت فرق الهواة والنوادي ثم ظهرت فرق المحترفين . ومن بين هؤلاء الرواد ظهر الكتاب والمثلون والمخرجون . وقد بدأ الرواد نشاطهم بتمثيل الروايات الغربية ، ثم اقتبسوا منها ، ثم كتبوا مسرحيات هندية تستمد جذورها من المسرحين السنسكريتي والاوروبي . وقد انحصرت الكتابات المسرحية في الموضوعات الدينية والتاريخية والاجتماعية .

نشأ المسرح الحديث في الهند نشأة اقليمية بمعنى ان كل اقليم قد تأثر بلون معين من الفنون . وقد خصص المؤلف فصلا لنشأة وتطور المسرح في البنغال ، وفصلا آخر عن المسرح في هندوستان . ثم اشار الى النشاط المسرحي في الاقاليم الاخرى .

ان الهند تملك تراثا روحيا تستطيع ان تستوحي منه أسس المسرح الهندي ، الا ان الفنون الهندية ـ وعلى الاخص فن الدراما ـ شغلتها القضايا القومية ، ومحاولة التخلص من الاستعمار . وحدد أحد الكتاب طريق المسرح الهندي في عدة نقاط منها دراسة نصوص المسرح القديم ، واستلهام الوجدان الشعبي ، وايجاد وحدة مشتركة في اخراج النص المسرحي .

واني اذ أحمد الكاتب على اتجاهه الى التعريف بالدراما الهندية، آمل ان يكون كتابه بداية لدراسة عميقة مستفيضة عن نشأة وتطور الدراما الهندية ، فلا شك ان الكاتب حاول ان يبرز النقاط الاساسية والاحداث البارزة ، فكان كتابه عرضا سريعا حاول ان يلم فيه بجوانب الموضوع ، فلم تأت الدراسة وافية كاملة . وما دام قد حاول تناول قصة الدراما الهندية نشأة وتاريخا وتطورا ـ كما قال في مقدمته ـ في مائة صفحة من القطع الصغير ، فلا بد ان يكون موضوعه بمثابة اطلالة قصيرة ونظرة عاجلة ، آمل ان يعمد هو أو غيره من الدارسين للادب الهندي وفنونه الى كتابة هذه الدراسة لتسد نقصا ما تزال تعاني منه المكتبة العربية ، ولا يمكن ان يملأ الفراغ بترجمة عدة كتب عن فن الدراما الهندية ، وانما نحن في حاجة الى قلم أديب عربي يحكي لنا قصة الدراما الهندية بعمق واستفاضة .

القاهرة **حسني سيد لبيب**